

**المدرسة المالكية المغاربية**  
**التعريف بها، خصائصها، ومنهجها العلمي،**  
**إسهامها في بناء المذهب**  
**الباحث/ عبد الله بن خالد بن عبد الله القاسم**  
**طالب دكتوراه بقسم الدراسات الإسلامية**  
**جامعة الملك سعود**

**المقدمة**

إن الحمد لله نحمد ونستعينه ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضل فلا هادي، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.  
 أما بعد:

فإن من أهم المهمات، وخير ما صرفت له الأوقات، معرفة العبد أحكام الدين، وفقهه لعبادة رب العالمين، يأخذ من الفقه نور الهدى، وفهم الوحي، وحل النازلة، فيعبد الله على بصيرة، ود أخرج الشيخان من حديث معاوية رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين)<sup>(١)</sup>.

وإن من منة الله وفضله على هذه الأمة أن قيض لها علماء الهدى، ومصابيح الدجى، فقهوا الدين وعملوا بكتاب رب العالمين وسنة أشرف المرسلين صلى الله عليه وسلم، فحملوا إرث النبوة جيلاً بعد جيل، فنفعوا الأمة بما صنعوا وما كتبوا.

ومن المدارس الفقهية التي كتب الله لها القبول والانتشار هي المدرسة المالكية المغاربية، وأردت أن أسلط الضوء في هذا البحث على بيان مفهوم هذه المدرسة وخصائصها ومنهجها العلمي، وإسهاماتها في بناء المذهب.

(١) رواه البخاري، باب من من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، (٢٥/١)، رقم (٧) ومسلم، باب النهي من المسألة (٧١٩/٢) رقم (١٠٣٧).

**أهمية الموضوع:**

وتبرز أهمية هذا الموضوع ما لأثر هذه المدرسة في العالم الإسلامي وفي المذاهب الفقهية عموماً وفي المذهب المالكي خصوصاً، حيث أن تراث هذه المدرسة انتشر في مشارق الأرض ومغربها، فكان حري أن تصنف البحوث والمصنفات عن منهج هذه المدرسة وخصائصها وإسهاماتها.

**أسباب اختيار الموضوع:**

كانت هناك عدة أسباب لاختياري لهذا الموضوع أذكر منها ما يلي:

- ١- سعة انتشار اتباع المدرسة في البلدان والأقليات في العالم قديماً وحديثاً.
- ٢- نتاج وآثار المدرسة المتمثلة في كثرة المؤلفات والمصنفات في فنون العلم كالفقه والاصول والتفسير والحديث.
- ٣- أنها أشهر المدارس الفقهية المالكية في وقتنا المعاصر.

**منهج الدراسة:**

استخدمت في هذه الدراسة المنهج الاستقرائي التحليلي، ملتزماً بقواعد البحث العلمية والأكاديمية.

**خطة البحث:**

ينقسم هذا البحث:

- مقدمة، وتشتمل على أهمية الموضوع، ومنهج الدراسة.
- ثم قسمت البحث إلى ثلاثة مباحث على النحو التالي:
- المبحث الأول: التعريف بالمدرسة؛ النشأة والأعلام والمؤلفات.
- المبحث الثاني: خصائص المدرسة العلمية والمنهجية.
- المبحث الثالث: إسهامات المدرسة في بناء المذهب المالكي ثم النتائج والتوصيات.

## المبحث الأول

## التعريف بالمدرسة؛ النشأة والأعلام والمؤلفات

## أولاً- التعريف بالمدرسة:

المدرسة لغة: من الدراسة وهي الرياضة والتعهد للشيء، ومنه المدرس: الموضع الذي يدرس فيه، ومفعل ومفعال من أبنية المبالغة<sup>(١)</sup>.

والمدرسة اصطلاحاً: عرفتها بعض المعاجم المعاصرة بأنها: "مكان الدرس والتعليم، وجماعة من الفلاسفة أو المفكرين أو الباحثين تعتق مذهباً معيناً أو تقول برأي مشترك يقال: مدرسة فلان، أي على رأيه ومذهبه، سواء كانت المدرسة فكرية أو أدبية أو فلسفية أو تشريعية"<sup>(٢)</sup>. وهذا المعنى المعروف الذي ساد وانتشر وأصبح مألوفاً، لم يكن مستعملاً قديماً، لذلك لم تشر له المعاجم المتقدمة.

والمالكية: نسبة للإمام مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي، عالم المدينة، وإمام درا الهجرة المتوفى سنة ١٧٩هـ<sup>(٣)</sup>، فالمدارس المالكية هي: "الاتجاهات الفقهية المختلفة داخل المذهب المالكي التي ترى أنها نهج الإمام مالك وتسير عليه"<sup>(٤)</sup>.

والمغاربية: نسبة لبلدان المغرب الإسلامي<sup>(٥)</sup> الذي يشمل إفريقيا<sup>(٦)</sup> والأندلس<sup>(٧)</sup>، والمقصود على وجه

(١) انظر: تهذيب اللغة (٢٥٠/١٢)، والصاحح تاج اللغة (٩٢٧/٣)، والنهاية في غريب الحديث (١١٣/٢)، ولسان العرب (٩٧/٦).

(٢) المعجم الوسيط (٢٨٠/١)، وانظر: معجم متن اللغة (٤٠٠/٢).

(٣) انظر: التاريخ الكبير للبخاري (٣١٠/٧)، وترتيب المدارك (١١٤/١)، وسير أعلام النبلاء (١٥٠/٧).

(٤) المذهب المالكي، مدارسه ومؤلفاته، خصائصه وسماته، محمد المختار (ص٢٥)، وهذا تعريف موجز، ومن الباحثين من نحى منحى التفصيل في التعريف، ومن ذلك تعريف المدرسة المالكية بأنها: "الجماعة التي اتبعت فيما روي عنه، وما نقل من أقواله الاجتهادية، أو اتبعت ما أثر عن المجتهدين المقيدين بأصوله من أتباعه المؤهلين للاستنباط، سواء فيما أيده فيه أو خالفوه، أو فيما اجتهدوا فيه من المسائل المستجدة التي لم يسبق فيها نص أو حكم"، المدرسة المالكية بإفريقية في عهد سيادة القيروان، محمد الأجناف (ص٢).

(٥) المغاربية: مصطلح المغرب ينصرف حديثاً إلى المملكة المغربية، ولكن هذا المصطلح كان يطلق على غرب الدولة الإسلامية قديماً، ولذلك أطلقه المالكية على هذه المنطقة بما فيها الأندلس، كما في اصطلاح المغاربة الذي يطلقونه على مجموعة من العلماء منهم الباجي وهو أنطلسي، وابن أبي زيد وهو قيرواني، والقاضي عياض وهو سبتي. انظر: المسالك والممالك للأصطخري (ص٣٦)، والمندخل الجوزي في اصطلاحات السادة المالكية (ص١٢)، والمذهب المالكي، مدارسه ومؤلفاته، محمد المختار (ص٩٥)، مباحث في المذهب المالكي بالمغرب، عمر الجبدي (ص١٥) وما بعدها.

(٦) إفريقية: يراد بها شمال غرب إفريقيا، قال أبو عبيد البركي الأندلسي: "حدّ إفريقية طولها من برقة -مدينة في دولة ليبيا حديثاً- شرقاً إلى طنجة الخضراء غرباً، وعرضها من البحر إلى الرمال التي في أول بلاد السودان" معجم البلدان، ياقوت الحموي (٢٢٨/١).

(٧) الأندلس: هي البلاد المعروفة اليوم باسم إسبانيا، ووصفها من تقدم كالحموي في معجم البلدان (٢٦٢/١) بقوله: "أما الأندلس؛ فجزيرة كبيرة فيها عامر وغامر، طولها نحو الشهر في نيف وعشرين مرحلة، تغلب عليها المياه الجارية والشجر والثمر والرخص والسعة في الأحوال، وعرض فم الخليج الخارج من البحر المحيط قدر اثني عشر ميلاً بحيث يرى أهل الجانبين بعضهم بعضاً ويتبينون زروعهم وبيادرهم". وقال الحميري: "اسم الأندلس في اللغة اليونانية إثنائيا... والأندلس آخر المعمور في المغرب، لأنها متصلة ببحر أقيانس الأعظم الذي لا عماره وراه". الروض المعطار (ص٣٢).

الخصوص بإفريقية بالنسبة لهذا المطلب هو القيروان غالباً<sup>(١)</sup>، كما سيأتي في نشأة المدرسة.

وبناء على ما سبق يمكن أن تُعرف المدرسة المالكية المغربية بإيجاز بأنها: "الاتجاه الفقهي الذي سلكه أتباع الإمام مالك في المغرب". وهذا يشمل المدرسة المتقدمة والمتأخرة، وأما إذا قصدنا المدرسة المتقدمة فيكون تحديدها بالقيروان والأندلس أدق، كما سيأتي.

والمدرسة المغربية واحدة من أربع مدارس رئيسة في المذهب المالكي، هي: المدنيّة، والمصريّة، والعراقيّة، والمغربيّة<sup>(٢)</sup>، وقد ظهرت هذه المدرسة على يد عدد من تلاميذ الإمام مالك رحمه الله، وما زالت باقية حتى اليوم، بل هي المدرسة الأشهر اليوم من المدارس الأربع<sup>(٣)</sup>.

### ثانياً - النشأة:

#### ١ - النشأة في القيروان:

دَخَلَ عِلْمُ الإِمَامِ مالِكِ رَحِمَهُ اللهُ المَغْرِبَ على يدِ عَلِيِّ بنِ زِيَادِ التُّونِسِيِّ<sup>(٤)</sup>؛ فهو أول من أدخل الموطأ، وجامع سفيان الثوري المغربي، وفسر لهم قول مالك، ولم يكونوا

(١) القيروان: مدينة عظيمة بإفريقية، كانت العاصمة لتونس، وتقع غرب سوسة، وتبعد مسافة ١٥٦ كيلومتراً عن مدينة تونس. انظر: معجم البلدان للحموي (٤/٤٢٠)، والموسوعة الجغرافية للوطن العربي (ص٥٣)، والموسوعة التونسية المفتوحة <http://www.mawsouaa.tn/wiki>.

(٢) هذا هو محل انتشار المذهب المالكي في القرون المتقدمة، وأما في الوقت المعاصر فهو منتشر في صعيد مصر، والسودان، والكويت، وقطر، والبحرين، وفي الأحساء، وفي بلاد المغرب كلها، وفي بلاد إفريقية متعددة ويزيد أتباعه اليوم عن مائتي مليون. انظر: المذهب المالكي النشأة والموطن، محمد الغرياني (ص٢٤ - ٢٥).

(٣) تقسيمها إلى أربعة مدارس هو المشهور، ومنهم من قسمها إلى خمسة مدارس، بأن جعل المدرسة المغربية عبارة عن مدرستين؛ مدرسة القيروان ومدرسة الأندلس. انظر: المذهب المالكي، مدارسه ومؤلفاته، محمد المختار (ص٩٥)، المدرسة المالكية الأندلسية، مصطفى الهروس (ص٣١) وما بعدها، المدرسة المالكية بإفريقية في عهد سيادة القيروان، محمد الأجان (ص١٣) وما بعدها، تطور المذهب المالكي في المغرب الإسلامي، محمد شرجيلي (ص١٧)، بحث بعنوان: أسباب سيادة المذهب المالكي بالأندلس، حوالم عكاشة، ضمن مجموع بحوث أعمال الملتقى الوطني الرابع للمذهب المالكي بولاية عين الدفلى (ص١٠٥) وما بعدها.

(٤) علي بن زياد التونسي: هو أبو الحسن علي بن زياد التونسي العبسي؛ ولد بطرابلس ثم انتقل إلى تونس؛ فسكنها. سمع من مالك والثوري والليث بن سعد وغيرهم، سمع منه البهلول بن راشد وسحنون وأسد بن الفرات، قال سحنون: ما أنجبت إفريقية مثل علي بن زياد. توفي سنة ١٨٣هـ. انظر: رياض النفوس (١/٢٣٤)، وترتيب المدارك (٣/٨٠)، والديباج المذهب (٢/٩٢).

يعرفونه<sup>(١)</sup>؛ وذلك خلال عصر ولاة بني العباس على إفريقية، وكان غالب أهل تلك البلاد حينها على مذهب الكوفيين<sup>(٢)</sup>.

ومن أعلام هذه المرحلة إلى جانب ابن زياد؛ البهلؤل بن راشد<sup>(٣)</sup>، وعبدُ الرحيم بنُ أشرس<sup>(٤)</sup>، وعبدُ الله بن غانم<sup>(٥)</sup>، وابنُ فروخ<sup>(٦)</sup>، وهؤلاء من الطبقة الأولى من أصحاب مالك؛ ممّن سمعوا منه الموطأ، وأخذوا عنه الفقه، ثم تلاهم عددٌ كبير ممّن رحلوا للقاء مالك والسماع منه، قال محمد بن الحارث: "رحل إليه منها أكثر من ثلاثين رجلاً؛ كلهم لقي مالكاَ وسمع منه"<sup>(٧)</sup>.

ثم بدأ تدوين فقه الإمام مالك على يد تلميذين نجيبين من تلاميذ ابن زياد؛ أولهما أسد بن الفرات<sup>(٨)</sup>؛ الذي لقي بدوره مالكاَ، وسمع منه الموطأ؛ ثم أصلُ فروعه<sup>(٩)</sup> على يد

(١) انظر: رياض النفوس (٢٣٤/١)، وترتيب المدارك (٨٠/٣).

(٢) انظر: ترتيب المدارك (٢٥/١)، والمذهب المالكي النشأة والموطن، محمد الغرياني (ص ٢٢-٢٣)، وتطور المذهب المالكي في المغرب الإسلامي، محمد شرحبيلي (ص ١٧) وما بعدها.

(٣) البهلؤل بن راشد: هو أبو عمرو الحجري الرعيني، من أهل القيروان، من الطبقة الأولى من أصحاب مالك، كان عالماً مجتهداً، ورعاً مستجاب الدعوة، سمع من مالك والثوري والليث بن سعد وغيرهم، سمع منه سحنون ويحيى بن سلام وجماعة، روى عنه القعني؛ وعبد الله بن مسلمة، وقال عنه: هو وتد من أوتاد المغرب، ونظر إليه مالك فقال: هذا عابد بلده. توفي سنة ١٨٣هـ. انظر: ترتيب المدارك (٨٧/٣)، والديباج المذهب (٣١٥/١).

(٤) عبد الرحيم بن أشرس: هو أبو محمد عبد الرحيم بن أشرس، من العرب من أهل تونس، ثقة فاضل شديد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، سمع من مالك، وابن القاسم، وروى عنه ابن وهب وجماعة. انظر: ترتيب المدارك (٨٥/٣)، والديباج المذهب (٣/٢).

(٥) عبدالله بن غانم: هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن غانم بن شرحبيل بن ثوبان الرعيني، قاضي إفريقية، وصاحب مالك بن أنس. كان فضله وعلمه وورعه أشهر من أن يذكر، وهو أحد الثقات والأثبات. روى عن مالك وعليه معتمده، وروى عن سفيان الثوري وغيرهم، توفي سنة ١٩٠هـ. انظر: رياض النفوس (٢١٥/١)، وترتيب المدارك (٦٥/٣).

(٦) ابن فروخ: هو أبو محمد عبد الله بن فروخ الفارسي، فقيه القيروان في وقته، رحل إلى المشرق، فلقى جماعة من العلماء كابن جريح، والأعمش، والثوري، ومالك، وأبي حنيفة وغيرهم. فسمع منهم وتفقه بهم. وكان اعتماده في الحديث والفقه على مالك، وبصحبته أشتهر. كان مالك يكرمه ويرى له فضلاً، ويقول لأصحابه: "هذا فقيه أهل المغرب". توفي سنة ١٧٥هـ. انظر: رياض النفوس (١٧٦/١)، وترتيب المدارك (١٠٢/٣).

(٧) ترتيب المدارك (٥١/١)، وانظر: مباحث في المذهب المالكي بالمغرب، عمر الجيدي (ص ١٥-١٦).

(٨) أسد ابن الفرات: هو الإمام، القاضي، الأمير، أبو عبد الله الحارثي، ثم القيرواني، روى عن مالك (الموطأ)، وعن يحيى بن أبي زائدة، وأبي يوسف القاضي، ومحمد بن الحسن، دون مسائل سمعها من ابن القاسم عُرِفَت بالأسدية، وهي أصل المدونة الكبرى، وكان يغلب عليه الرأي، حصلت له بإفريقية رئاسة وإمرة، وأخذوا عنه، وتفقهوا به، وحمل عنه سحنون الأسدية، ثم رحل بها إلى ابن القاسم، وعرضها عليه. توفي سنة ٢١٣هـ. انظر: ترتيب المدارك (٢٩١/٣)، والديباج المذهب (٣٠٥/١)، وسير أعلام النبلاء (٢٢٥/١٠).

(٩) انظر: ترتيب المدارك (٢٩٦/٣)، ووفيات الأعيان (١٢٩/٣)، وسير أعلام النبلاء (١٢٠/٩).

ابن القاسم<sup>(١)</sup> في مدونته التي عُرفت بالأسديّة؛ فحصلت له بذلك شهرة، وكتب عنه أهل القيروان مدونته؛ لكنه انتقدَ آنذاك؛ بسبب قلة عنايته فيها بالآثار، وإدخاله الآراء والأقيسة؛ حتى قيل له: "أجئتنا بأخال وأظنّ وأحسب، وتركت الآثار وما عليه السلف؟"<sup>(٢)</sup>، إلى أن جاء دورُ تلميذ ابن زياد الثاني القاضي عبد السلام ابن سعيد التتوخي؛ المعروف بسَحْنُون<sup>(٣)</sup>؛ حيث ارتحل بالأسديّة -بعد أن سمعها من ابن الفرات-، وعرضها على ابن القاسم؛ فأصلح فيها كثيراً وأسقط، ثم رتبها، وبوّبها، واحتجّ لكثير من مسائلها بالآثار من مروياته<sup>(٤)</sup>.

وبذلك أصبحت المدونةُ هي الأصلَ المعتمد في إفريقية، وبها نُشر علمُ الإمام مالك، وبعد ولايته قضاء القيروان من قبل محمد بن الأغلب<sup>(٥)</sup>؛ أمير إفريقية؛ فضّ سحنونُ حلقَ المخالفين، وهناك استقرّ المذهب بعده في أصحابه؛ فشاع في تلك الأقطار<sup>(٦)</sup>.

قال محمد بن الحارث: "ثم قدم سَحْنُونُ بذلك المذهب، واجتمع له مع ذلك فضل الدين، والعقل والورع والعفاف والانقباض، فبارك الله فيه للمسلمين، فمالت إليه الوجوه، وأحبّته القلوب وصار زمانه كأنه مبتدأ قد ما قبله، فكان أصحابه سرج أهل القيروان"<sup>(٧)</sup>.

(١) ابن القاسم: هو عالم الديار المصرية ومفتيها؛ أبو عبد الله عبد الرحمن بن القاسم بن خالد بن جنادة العتقي بالولاء، تفقه بالإمام مالك ونظراته، وصحب مالكاَ عشرين سنة، وانتفع به أصحاب مالك بعد موت مالك، وهو صاحب "المدونة"، وعنه أخذها سحنون. توفي سنة ١٩١هـ. انظر: ترتيب المدارك (٢٤٤/٣)، ووفيات الأعيان (١٢٩/٣)، وسير أعلام النبلاء (١٢٠/٩).

(٢) انظر: ترتيب المدارك (٢٩٨/٣).

(٣) سَحْنُونُ: هو عبد السلام بن سعيد بن حبيب التتوخي؛ الملقب بسحنون: قاضٍ، فقيه، انتهت إليه رئاسة العلم في المغرب. كان زاهداً لا يهاب سلطاناً في حق يقوله. أصله شامي، من حمص، ومولده في القيروان. ولي القضاء بها سنة ٢٣٤هـ، واستمر إلى أن مات بها، وكان رفيع القدر، عفيفاً، أبي النفس، وروى "المدونة"؛ عن عبد الرحمن بن قاسم؛ عن الإمام مالك. توفي سنة ٢٤٠هـ. انظر: رياض النفوس (٢٤٥/١)، وترتيب المدارك (٤٥/٤)، والديباج المذهب (٣٠/٢).

(٤) انظر: ترتيب المدارك (٢٩٩/٣)، وسير أعلام النبلاء (٦٨/١٢).

(٥) محمد بن الأغلب: هو محمد بن الأغلب بن إبراهيم بن الأغلب أبو العباس؛ سادس ملوك الدولة الأغلبية بإفريقية، ولي بعد وفاة أبيه سنة ٢٢٦هـ. ودانت له البلاد وحسنت سياسته، فاستمر إلى أن توفي بالقيروان سنة ٢٤٢هـ. من آثاره بناء قصر (سوسة)

وجامعها. انظر: الأعلام للزركلي (٤٠/٦).

(٦) انظر: ترتيب المدارك (٥٦/٤)، والديباج المذهب (٣١/٢).

(٧) انظر: ترتيب المدارك (٥١/٤)، والديباج المذهب (٣٣/٢).

## ٢- النشأة في الأندلس:

كانت الأندلس مذ فتحت على رأي الأوزاعي<sup>(١)</sup>، إلى أن رحل مجموعة من طلبة العلم إلى الإمام مالك؛ فعادوا بعلمه، وأبانوا للناس فضله، فكان أول من أدخل الموطأ إلى الأندلس الغازي بن قيس الأموي<sup>(٢)</sup>؛ وكان عند مالك وهو يؤلفه، فلما أتمه أتى بنسخة منه إلى الأندلس؛ فسمعه منه طائفة من أهل العلم، فكان بذلك أول من أدخل الموطأ على صورته الأولى قبل أن يهذبها صاحبه وينقحها، كما كان الغازي أول من أدخل قراءة نافع إلى الأندلس<sup>(٣)</sup>.

ثم لما قام مالك بتهديب الموطأ وتنقيحه؛ أتى به زياد بن عبد الرحمن<sup>(٤)</sup> -الملقب بشبظون- الأندلس؛ فكان أول من أدخل الموطأ مكملاً متقناً، وتفرغ لإسماعه وتفقيه الناس على أصوله؛ وذلك في خلافة الأمير هشام بن عبد الرحمن الداخل<sup>(٥)</sup>، والذي كانت لديه عناية بالفقه والحديث- كان يبدي وُدًا وإعجابًا بالإمام مالك، ويعلمه، ومواقفه؛ وكان يرى أحقية إمامته على الأندلس؛ فكانت له عناية خاصة بطلابه،

(١) انظر: تاريخ ابن يونس (٨٧/٢)، وترتيب المدارك (٢٦/١)، والمدرسة المالكية الأندلسية، مصطفى الهروس (ص٣٧)، والأوزاعي: هو عبد الرحمن بن عمرو أبو عمرو الأوزاعي، الإمام الرباني القدوة، شيخ أهل الشام وفقههم، قال عبد الرحمن بن مهدي: ما كان أحد بالشام أعلم بالسنن من الأوزاعي، توفي سنة ١٥٧هـ. انظر: طبقات الفقهاء (ص٧٦)، وتهذيب الكمال (٣٠٧/١٧)، وتاريخ الإسلام (١٢٠/٤).

(٢) الغازي بن قيس الأموي: هو الإمام، شيخ الأندلس، أبو محمد الأندلسي، المقرئ، ارتحل وأخذ عن ابن جريج، وابن أبي ذئب، والأوزاعي، ومالك، ونافع بن أبي نعيم، وتلا عليه، روى عنه عبد الملك بن حبيب، وأصعب بن خليل، وعثمان بن أيوب، وابنه عبد الله، وآخرون، وهو أول من أدخل موطأ مالك، وقراءة نافع الأندلس، توفي سنة ١٩٩هـ. انظر: ترتيب المدارك (١١٤/٣)، والديباج المذهب (١٣٦/٢).

(٣) انظر: تاريخ علماء الأندلس (٣٨٧/١)، وترتيب المدارك (١١٤/٣)، والديباج المذهب (١٣٦/٢)، ومباحث في المذهب المالكي بالمغرب (ص١٧)، والمدرسة المالكية الأندلسية، مصطفى هروس (ص٣٥-٥١).

(٤) زياد بن عبد الرحمن: هو الفقيه الإمام؛ مفتي الأندلس؛ أبو عبد الله زياد بن عبد الرحمن اللخمي؛ الملقب بشبظون، صاحب مالك، وأول من أدخل الموطأ مكملاً إلى الأندلس، توفي سنة ١٩٣هـ. انظر: تاريخ علماء الأندلس (١٨٢/١)، وسير أعلام النبلاء (٣١١/٩)، والديباج المذهب (٤٠١/٤).

(٥) هشام بن عبد الرحمن الداخل: هو هشام بن عبد الرحمن الداخل بن معاوية الأمير، أبو الوليد المرواني، بويع بالملك بالأندلس عند موت والده سنة اثنتين وسبعين ومائة، وعمره إذ ذاك ثلاثون سنة، وكان ديناً ورعاً، يشهد الجنائز، ويعود المرضى، ويعدل في الرعية، ويكثر الصدقات، ويتعاهد المساكين. توفي سنة ١٨٠هـ. انظر: تاريخ ابن يونس (٨٧/٢)، وسير أعلام النبلاء (٢٥٣/٨).

والمتخرجين عليه، ومن ثمَّ تحوّلت الأندلس من مذهب الأوزاعي السائد إلى المذهب المالكي الوافد<sup>(١)</sup>.

### ثالثاً - الأعلام:

بعد مرحلة النشأة والتأسيس، تتابعت قافلة علماء هذه المدرسة المباركة؛ فخرجت للوجود أسماء ملأت فضاء العلم والتقى والفضل، وكان أصحابها ملء الأسماع والأبصار، وما زال جميل ذكرهم حيّاً إلى يومنا هذا، وسوف نسرد أسماء عدد من هؤلاء الأعلام.

### فرع القيروان:

ظهر في القيروان في القرن الثالث الهجري تلامذة سحنون من أمثال؛ ابنه محمد<sup>(٢)</sup>، وابن عبدوس<sup>(٣)</sup>، وابن مَخْلَدٍ<sup>(٤)</sup>، وغيرهم.

(١) قال القاضي عياض في ترتيب المدارك (٢٦/١): "وأما أهل الأندلس فكان رأيها مذ فتحت على رأي الأوزاعي، إلى أن رحل إلى مالك زياد بن عبد الرحمن وقرعوس بن العباس والغازي ابن قيس ومن بعدهم بعلمه وأبانوا للناس فضله واقتداء لأئمة به، فعرف حقه ودرس مذهبه إلى أن أخذ أمير الأندلس إذ ذاك هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان الناس جميعا بالالتزام مذهب مالك وصير القضاء والفتيا عليه وذلك في عشرة الشيعين ومائة من الهجرة في حياة مالك رحمه الله تعالى، وشيخ المفتيين يومئذ صعصعة بن سلام إمام الأوزاعية وروايته ... وأدخل بها قوم من الرحالين والغرباء شيئاً من مذهب الشافعي وأبي حنيفة وأحمد وداوود فلم يمكنوا من نشره فمات لموتهم على اختلاف أزمانهم إلا من تدين به في نفسه ممن لا يؤبه لقوله، على ذلك مضى أمر الأندلس إلى وقتنا هذا". انظر: تاريخ ابن يونس (٨٧/٢)، ومباحث في المذهب المالكي بالمغرب (ص ١٧)، والمدرسة المالكية الأندلسية، مصطفى هروس ص ٣٥ - ٥١.

(٢) محمد بن سَحْنُون: هو فقيه المغرب، محمد أبو عبد الله، ابن فقيه المغرب عبد السلام بن سحنون بن سعيد التنوخي، القيرواني، شيخ المالكية، نفعه بأبيه، وله مصنف كبير في فنون من العلم، وله كتاب: (السير)، عشرون مجلداً، وكتاب: (التاريخ)، ومصنف في الرد على الشافعي والعرافيين، توفي سنة ٢٥٦هـ. انظر: ترتيب المدارك (٢٠٤/٤)، والديباج المذهب (١٦٩/٢)، وشجرة النور الزكية (١٠٥/١).

(٣) ابن عبدوس: هو محمد بن إبراهيم بن عبدوس بن بشير، من كبار أصحاب سحنون، وأئمة وقته، كان ثقةً، إماماً في الفقه، صالحاً زاهداً، ظاهر الخشوع، ذا ورع وتواضع، بذ الهيئة. وكان صحيح الكتاب، حسن التقيد، عالماً بما اختلف فيه أهل المدينة، وما اجتمعوا عليه. توفي سنة ٢٦٠هـ. انظر: ترتيب المدارك (٢٢٢/٤)، والديباج المذهب (١٧٤/٢).

(٤) ابن مَخْلَدٍ: هو أحمد بن موسى بن مخلد، ويقال له عيشون؛ الفقيه العمدة كان ينتمي إلى غافق وكان من معدودا في كبار أصحاب سحنون، وكان زاهداً ورعاً متعبداً فاضلاً عالماً بما في كتبه كثير الحكاية سمع منه بشر كثير من أهل القيروان وبها مات سنة ٢٩٥ هـ. انظر: ترتيب المدارك (٣٩٣/٤)، والديباج المذهب (١٤٨/١).



وفي القرن الرابع ظهر أبو بكر بن اللَّبَّادِ<sup>(١)</sup>، وتلميذه ابن أبي زيد القيرواني<sup>(٢)</sup>، الذي كان علامة بارزة في المذهب، حيث حفظه من الاندثار بعد ما لقي علماء من الأذى والقتل والتشريد على يد العبيديين<sup>(٣)</sup>، فقام بنشره بين الناس وتبعه على ذلك تلاميذه وتلاميذ تلاميذه، من أمثال: البراذعي<sup>(٤)</sup>، وابن يونس<sup>(٥)</sup>، واللخمي<sup>(٦)</sup>، من علماء القرن الخامس<sup>(٧)</sup>.

ثم جاء في القرن السادس الإمام المازري<sup>(٨)</sup>، وكان آخر المشتغلين من شيوخ إفريقية بتحقيق الفقه، ورتبة الاجتهاد، ودقة النظر ... لم يكن في عصره للمالكية في أقطار الأرض في وقته أفقه منه، ولا أقوم لمذهبهم<sup>(٩)</sup>.

(١) أبو بكر بن اللَّبَّادِ: هو محمد بن محمد بن وشاح. من أصحاب يحيى بن عمر، وبه تفقه، كان عنده حفظ كثير، وجمع للكتب، وكان فقيهاً، جليل القدر، عالماً باختلاف أهل المدينة، واجتماعهم، مهيباً مطاعاً، له كتاب الطهارة، وكتاب عصمة النبيين صلى الله وسلم عليهم اجمعين، وكتاب فضائل مالك، وكتاب الآثار والقرائد. توفي سنة ٣٣٣هـ. انظر: ترتيب المدارك (٢٨٦/٥)، والديباج المذهب (١٩٦/١).

(٢) ابن أبي زيد القيرواني: هو أبو محمد عبد الله بن أبي زيد عبد الرحمن القيرواني، إمام المالكية في وقته، وهو الذي لخص المذهب ولم نشره وذنب عنه، وكان يُعرف بمالك الصغير، وله تأليف: منها كتاب "النوانر والزيادات على المدونة"، وهو أزيد من مائة جزء، ومختصر المدونة مشهور، وعلى كتابيه هذين المعول في المذهب، وكتاب تهذيب العتبية، توفي سنة ٣٨٦هـ انظر: ترتيب المدارك (٢١٥/٦)، وشجرة النور الزكية (١٤٣/١).

(٣) العبيديون: هم الفاطميون الذين ينتسبون إلى آل البيت كذباً وزوراً، وهم من أشرف فرق الباطنية، وهم ملاحدة في الباطن رافضة في الظاهر، انظر: منهاج السنة (١٢/٨)، وتاريخ الإسلام (٦٨٩/٨).

(٤) البراذعي: هو أبو سعيد خلف بن أبي القاسم الأزدي، المعروف بالبراذعي، الفقيه العالم الإمام، من حفاظ المذهب، ومن كبار أصحاب ابن أبي زيد والقاسبي، له تأليف مشهورة؛ منها: "التهذيب اختصار المدونة"، وقد ظهرت بركة هذا الكتاب على طلبة الفقه. وتيمنا بدرسه وحفظه. وعليه معول أكثرهم بالمغرب والأندلس، توفي بعد ٤٣٠هـ. انظر: ترتيب المدارك (٢٥٦/٧)، وسير أعلام النبلاء (٥٢٣/١٧)، والديباج المذهب (٣٤٩/١).

(٥) ابن يونس: هو محمد أبو بكر بن عبد الله بن يونس، التميمي الصقلي؛ الإمام الحافظ النظار، أحد العلماء وأئمة الترجيح الأخيار، الفقيه الفرضي، الفاضل الملازم للجهاد، الموصوف بالنجدة. أخذ عن أبي الحسن الحصائري القاضي، وعتيق بن الفرضي وغيرهما. ألف كتاباً في الفرائض وكتاباً جامعاً للمدونة أضاف إليها غيرها من الأمهات وعليه اعتماد طلبة العلم للمذاكرة. توفي سنة ٤٥١هـ. انظر: شجرة النور الزكية (١٦٤/١).

(٦) اللخمي: هو أبو الحسن علي بن محمد الربيعي، المعروف باللخمي. كان فقيهاً فاضلاً، دينياً مفتياً متفتناً، ذا حظ من الأدب والحديث، جيد النظر، حسن الفقه، جيد الفهم، وكان فقيهه وقته، أبعد الناس صيتاً في بلده، وبقي بعد أصحابه، فجاز رئاسة بلاد إفريقية جملة، له تعليق كبير على المدونة سماه بالتبصرة. توفي سنة ٤٧٨هـ. انظر: ترتيب المدارك (١٠٩/٨)، والديباج المذهب (١٠٥/٢).

(٧) قال القاضي عياض في ترتيب المدارك (٢٦/١): "فجرت على المالكية في تلك المدة من، ولكنهم مع ذلك كثير، والعامّة تقتدي بهم، والناسي فيهم ظاهر؛ إلى أن ضعفت دولة بني عبيد بها، من لدن فتنة أبي يزيد الخارجي؛ فظفروا وأفتوا علمهم، وصنفوا المصنفات الجليلة، وقدم منهم جلة طار ذكرهم بأقطار الأرض، ولم يزل الأمر على ذلك إلى أن خربت القيروان، وأهلها وجهاتها وسائر بلاد المغرب مطبقة على هذا المذهب، مجمعة عليه، لا يعرف لغيره قائم". وانظر: بحث بعنوان: المدرسة الفقهية المالكية بالقيروان، محمد الرايس، ضمن مجموع بحوث أعمال الملتقى الوطني الرابع للمذهب المالكي بولاية عين الدفلى (ص ٨٤) وما بعدها.

(٨) المازري: هو الإمام المازري، محمد بن علي بن عمر التميمي، إمام أهل إفريقية وما وراءها من المغرب، أخذ عن اللخمي، وأبي محمد عبد الحميد السوسي وغيرهما من شيوخ إفريقية، ألف في الفقه والأصول، وله شرح لكتاب مسلم، وكتاب التفتين للقاضي أبي محمد وغيرها. توفي سنة ٥٣٦هـ. انظر: الديباج المذهب (٢٥٠/٢)، وشجرة النور الزكية (١٨٦/١).

(٩) انظر: الديباج المذهب (٢٥١/٢)، وشجرة النور الزكية (١٨٦/١).

## فرع الأندلس:

كان ممن سمع من زيادٍ والغازي بن قيس؛ كل من يحيى بن يحيى الليثي<sup>(١)</sup>؛ الملقب بعقل الأندلس، والذي عادت فتيا الأندلس إلى رأيه وقوله، وغلبت روايته للموطأ على الآخرين<sup>(٢)</sup>؛ وابن حبيب السلميّ<sup>(٣)</sup>، صاحب الواضحة، أحد الكتب المعتمدة في المذهب، ثم جاء من بعدهما العتبي<sup>(٤)</sup> وابن مزين<sup>(٥)</sup>، وغيرهما. وفي القرن الرابع ظهر ابن لبابة<sup>(٦)</sup>، وابن زرب<sup>(٧)</sup>، والأصيلي<sup>(٨)</sup>، وابن المكوبي<sup>(٩)</sup>، ثم مر فرع الأندلس بمرحلة ضعف، حيث ظهر أهل البدع، وفشا التقليد، وظهرت رؤوس الجهال<sup>(١٠)</sup>، إلى أن ظهرت تلة من أهل العلم كابن

(١) يحيى بن يحيى الليثي: هو الإمام الكبير، فقيه الأندلس، أبو محمد الليثي، البربري، الأندلسي، القرطبي، سمع أولاً من الفقيه زياد بن عبد الرحمن شبطون، ويحيى بن مضر، وطائفة، ثم ارتحل إلى المشرق، في أواخر أيام مالك الإمام، فسمع منه (الموطأ)، سوى أبواب من الاعتكاف، شك في سماعها منه، فرواها عن زياد شبطون، عن مالك، وسمع من الليث بن سعد، وسفيان بن عيينة، وعبد الله بن وهب، وعبد الرحمن بن القاسم. كان كبير الشأن، وافر الجلالة، عظيم الهيبة، توفي سنة ٢٣٤هـ. انظر: ترتيب المدارك (٣٧٩/٣)، والديباج المذهب (٢٥٢/٢).

(٢) انظر: ترتيب المدارك (٣٨١/٣)، والديباج المذهب (٢٥٢/٢).

(٣) ابن حبيب السلميّ: هو عبد الملك بن حبيب بن سليمان بن جاهمة ابن الصحابي عيسى بن مرداس السلميّ، الإمام، العلامة، فقيه الأندلس، كان جماعاً للعلم، كثير الكتب، فقيهاً، نحويًا، عروضياً، شاعراً، نساباً، وكان ذاباً عن مذهب مالك، ألف كتباً كثيرة حسناً في الفقه والتاريخ والأدب؛ منها: الواضحة في السنن والفقه لم يؤلف مثلها، والجامع، وكتاب فضائل الصحابة، وكتاب غريب الحديث، وكتاب تفسير الموطأ وغيرها. توفي سنة ٢٣٩هـ. انظر: ترتيب المدارك (١٢٢/٤)، والديباج المذهب (٩/٢).

(٤) العتبي: هو محمد بن أحمد بن عبد العزيز، فقيه الأندلس سمع من يحيى بن يحيى، وسعيد بن حسان، وغيرهما، ورحل فسمع من سحنون وأصبغ، وكان عظيم القدر عند العامة، حافظاً للمسائل، جامعاً لها، عالماً بالنوازل، معظماً في زمانه، وهو الذي جمع المستخرجة. التي قال فيها ابن حزم: لها عند أهل العلم بالفريقتين المقدار العالي، والطيران الحديث. توفي سنة ٢٥٤هـ. انظر: ترتيب المدارك (٢٥٢/٤)، والديباج المذهب (١٧٦/٢).

(٥) ابن مزين: هو يحيى بن مزين، مولى رملة ابنة عثمان بن عفان، كان موصوفاً بالفضل، والنزاهة، والدين، والحفظ، ومعرفة مذهب أهل المدينة، وكان يحفظ الموطأ، وكتبه، حفظاً، ويتقن ضبطها، له تفسير الموطأ، وتسمية رجال الموطأ، وهو كتاب المستنصرية، وكتاب فضائل العلم، وكتاب فضائل القرآن. توفي سنة ٢٥٩هـ. انظر: ترتيب المدارك (٢٣٨/٤)، والديباج المذهب (٣٦١/٢).

(٦) ابن لبيبة: هو محمد أبو عبد الله بن عمر بن لبيبة، مولى آل عبيد بن عثمان القرطبي، كان إماماً في الفقه، مقدماً على أهل زمانه في حفظ الرأي والبصر بالفتيا، دارت عليه الأحكام نحواً من ستين سنة، وكان اعتماده على العتبي وابن مزين. توفي سنة ٣١٤هـ. انظر: الديباج المذهب (١٨٩/٢)، وشجرة النور الزكية (١٢٩/١).

(٧) ابن زرب: هو القاضي أبو بكر محمد بن يحيى بن محمد بن زرب، كان من أحفظ أهل زمانه لمسائل مذهب مالك وأقفيهم به، وعليه كان مدار طلبه في المناظرة، وكان الفقه جَلَّ علمه، ولم تكن له رحلة ولا رواية، له كتاب الخصال المشهور في الفقه على مذهب مالك. توفي سنة ٣٨١هـ. انظر: ترتيب المدارك (١١٤/٧)، والديباج المذهب (٢٣٠/٢).

(٨) الأصيلي: هو أبو محمد عبد الله بن إبراهيم بن محمد الأصيلي، ممن انتهى إليه هذا الأمر من المالكية بالأندلس، وانتهت إليه الرئاسة، كان متقناً نبيلاً، عارفاً بالحديث والسنن، وتقن في الرأي، وألف كتباً نافعة منها: كتاب على الموطأ سماه الدلائل ذكر فيه اختلاف مالك والشافعي وأبي حنيفة. توفي سنة ٣٩٢هـ. انظر: ترتيب المدارك (١٣٨/٧)، والديباج المذهب (٤٣٣/١).

(٩) ابن المكوبي: هو أحمد بن عبد الملك الإشبيلي، شيخ الأندلس في وقته، تفقه بأبي إبراهيم، وانتهت إليه رئاسة الفقه في الأندلس حتى صار فيها بمنزلة يحيى بن يحيى، واعتلى على الفقهاء، وتفذت الأحكام برأيه، وكان أحفظ الناس لقول مالك وأصحابه، وجمع مع المعطي كتاباً في رأي مالك سماه: كتاب الاستيعاب. توفي سنة ٤٠١هـ. انظر: ترتيب المدارك (١٢٣/٧)، والديباج المذهب (١٧٦/١).

(١٠) انظر: العواصم من القواصم (ص ٣٦٦) وما بعدها، والمذهب المالكي، مدارسه ومولفاته، محمد المختار (ص ١٠١-١٠٢).

عبد البر<sup>(١)</sup>، والباجي<sup>(٢)</sup>، وابن رشد الجد<sup>(٣)</sup>، وابن العربي<sup>(٤)</sup>، وابن رشد الحفيد<sup>(٥)</sup> الذين أحيوا هذا الفرع من جديد<sup>(٦)</sup>.

### رابعاً - المؤلفات:

لا يمكن في هذه الصفحات اليسيرة؛ سرد كل الكتب التي ألفها علماء المالكية في القيروان والأندلس، لكن سأكتفي بذكر بعض الأمهات منها وأشهرها، مما يُعدُّ من معالم المدرسة؛ مع تعريف وجيز بها.

(١) ابن عبد البر: هو أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النميري القرطبي، العلامة الحافظ الفقيه المحدث، إمام عصره في الحديث والأثر، قال عنه الباجي: لم يكن في الأندلس مثل أبي عمر في الحديث، يقال له: حافظ المغرب، له كتب عديدة أشهرها: التمهيد في شرح الموطأ، الاستذكار، جامع بيان العلم، أسد الغابة، توفي سنة ٤٦٣هـ. انظر: ترتيب المدارك (١٢٧/٨)، والديباج المذهب (٣٦٧/٢)، وشجرة النور الزكية (١٧٦/١).

(٢) الباجي: هو القاضي سليمان بن خلف؛ أبو الوليد الباجي، كان فقيهاً نظاراً محققاً راوية محدثاً، يفهم صيغة الحديث ورجاله، متكلماً أصولياً فصيحاً شاعراً، حسن التأليف، متقن المعارف، ولم يكن بالأندلس قط أتقن منه للمذهب، له مؤلفات شهيرة منها: الاستيفاء، والمنقّى، والإيماء في شرح الموطأ، والسراج، والمقتبس في علم مالك بن أنس، وكتاب المهذب في اختصار المدونة، وشرح المدونة لم يتم، ومختصر المختصر في مسائل المدونة. توفي سنة ٤٧٤هـ. انظر: ترتيب المدارك (١١٧/٨)، والديباج المذهب (٣٧٧/١)، وشجرة النور الزكية (١٧٨/١).

(٣) ابن رشد الجد: هو الفقيه القاضي أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد المالكي القرطبي، يكنى أبا الوليد، ويعرف بابن رشد الجد، زعيم فقهاء وقته بأقطار الأندلس والمغرب ومقدمهم المعترف له بصحة النظر، وجودة التأليف، ودقة الفقه. من مصنفاته: "البيان والتحصيل لما في المستخرجة من التوجيه والتعليل"، و"المقدمات"، و"مختصر شرح معاني الآثار للشاطبي"، و"اختصار المبسوط". توفي ٥٢٠هـ. انظر: بغية الملتزم (ص ٥١)، والديباج المذهب (٢٤٨/٢)، وشجرة النور الزكية (١٩٠/١).

(٤) ابن العربي: هو القاضي أبو بكر محمد بن عبد الله، المعروف بابن العربي المغاربي، المالكي المذهب، الإمام الحافظ، المتبحر، خاتمة علماء الأندلس وحفاظها، من مؤلفاته أحكام القرآن، وكتاب المسالك في شرح موطأ مالك، وكتاب القبس على موطأ مالك بن أنس، وعارضة الأحوذى على كتاب الترمذي، والقواصم والعواصم، والمحصول في أصول الفقه. توفي سنة ٥٤٣هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (١٩٧/٢٠)، والديباج المذهب (٢٥٢/٢)، وشجرة النور الزكية (١٩٩/١).

(٥) ابن رشد الحفيد: هو أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد الشهير بالحفيد، قاضي الجماعة بقرطبة، كانت الدراية أغلب عليه من الرواية، ودرس الفقه الأصول وعلم الكلام، وله تأليف جليلة الفائدة منها كتاب بداية المجتهد ونهاية المقتصد في الفقه وكتاب الكليات في الطب ومختصر المستصفي في الأصول وكتابه في العربية الذي وسمه بالضروري وغير ذلك. توفي سنة ٥٩٥هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٣٠٧/٢١)، والديباج المذهب (٢٥٩/٢).

(٦) قال القاضي عياض في ترتيب المدارك (٢٦/١): "وأما أهل الأندلس فكان رأيها مذ فتحت على رأي الأوزاعي، إلى أن رحل إلى مالك زياد بن عبد الرحمن، وقرعوس بن العباس، والغازي ابن قيس، ومن بعدهم بعلمه، وأبانوا للناس فضله، واقتداء الأئمة به، فعرف حقه، ودرس مذهبه إلى أن أخذ أمير الأندلس إذ ذاك هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان الناس جميعاً بالتزامهم مذهب مالك، وصير القضاء والفتيا عليه، وذلك في عشرة الشيعين ومائة من الهجرة في حياة مالك رحمه الله تعالى، وشيخ المفتين يومئذ صعصعة بن سلام إمام الأوزاعية وروايته ... وأدخل بها قوم من الرحالين والغرباء شيئاً من مذهب الشافعي وأبي حنيفة وأحمد وداوود، فلم يمكننا من نشره، فمات لموتهم على اختلاف أزمانهم إلا من تدن به في نفسه ممن لا يؤبه لقلوه، على ذلك مضى أمر الأندلس إلى وقتنا هذا".

وهذه المؤلفات على أنواع أربعة: كتب التفسير التي تعنتي بالأحكام، وشروح الموطأ، وغيره من كتب الحديث، وكتب أصول الفقه على أصول مالك، والكتب الفقهية، كما أنها تشترك في بيان مذهب مالك والانتصار له في الجملة.

**أولاً: كتب التفسير التي تعنتي بالأحكام؛ مع بيان مذهب مالك وأشهرها:**

١- أحكام القرآن: لابن العربي؛ وهو كتاب عظيم، اقتصر فيه على تفسير آيات الأحكام، واستخراج مسائلها الفقهية، معتمداً في ذلك أسباب النزول وعلى اللغة، وعلم الحديث، والسنن والآثار، منبهاً على مواطن الخلاف بين الفقهاء، منتصراً فيها لمذهب مالك<sup>(١)</sup>.

٢- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: لابن عطية<sup>(٢)</sup>، ويعد مرجعاً في نسبة الآراء إلى المالكية، اعتنى فيه بالاستدلال كثيراً؛ فهو يورد المسألة الخلافية ثم يورد أدلتها من القرآن والسنة؛ معززاً ذلك بأقوال الصحابة والتابعين والأدلة العقلية، مبنياً في مسأله مذهب مالك<sup>(٣)</sup>.

٣- تفسير القرطبي<sup>(٤)</sup> الموسوم بـ: "الجامع لأحكام القرآن، والمبين لما تضمنته من السنة وآي القرآن": ويعتبر من أهم الكتب التي اعتنت بالاستدلال؛ خاصة عند عرض المسائل الفقهية؛ حيث يسرد الخلاف في المسألة، ويبين أدلة الفرقاء فيها، مبيّناً رأي المالكية؛ مما جعل الكتاب يُعدّ من مصادر المذهب المالكي<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر: بغية الملتزم في تاريخ رجال أهل الأندلس للزبي (ص٩٣)، وطبقات المفسرين للسيوطي (ص١٠٥)، ونفح الطيب للتمساني (٣٥/٢).

(٢) ابن عطية: هو الإمام القاضي، عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي، يكنى أبا محمد، كان فقيهاً عالماً بالتفسير والأحكام والحديث والفقه والنحو واللغة والأدب، مقيداً حسن التقييد، له نظم ونثر، ولي القضاء بمدينة المريّة، وكان غاية في الدهاء والذكاء، توفي سنة ٥٤٢هـ. انظر: الديباج المذهب (٥٧/٢)، وشجرة النور الزكية (١٨٩/١).

(٣) انظر: الديباج المذهب (٥٧/٢)، ونفح الطيب (٥٢٧/٢)، وشجرة النور الزكية (١٨٩/١)، والمذهب المالكي، مدارسه ومؤلفاته، محمد المختار (ص١٣٤-١٣٦).

(٤) القرطبي: هو الشيخ الإمام، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري، الأندلسي القرطبي المفسر، كان من عباد الله الصالحين، والعلماء العارفين الورعين الزاهدين في الدنيا، المشغولين بما يعينهم من أمور الآخرة، أوقاته معمورة ما بين توجه وعبادة وتصنيف، له غير التفسير: الأسنى في أسماء الله الحسنى، وكتاب التذكار في أفضل الأذكار، وكتاب التذكرة بأمر الآخرة، وغيرها. توفي سنة ٦٧١هـ. انظر: الديباج المذهب (٣٠٩/٢)، وشجرة النور الزكية (٢٨٢/١).

(٥) انظر: الديباج المذهب (٣٠٩/٢)، ونفح الطيب (٢١٠/٢)، وشجرة النور الزكية (٢٨٢/١)، والمذهب المالكي، مدارسه ومؤلفاته، محمد المختار (ص١٣١-١٣٣).

## ثانياً: شروح الموطأ، وغيره من كتب الحديث:

يعدّ موطأ الإمام مالك رحمه الله المصدرَ الأساس المتداول عند المالكية، ولم يعرف المالكية من أهل الغرب الإسلامي مصدرًا سواه حتى خرجت المدونة على يد سحنون<sup>(١)</sup>.

اعتمد الإمام مالك رحمه الله في الموطأ أسلوب الجمع بين الأحاديث النبوية، والآثار المنقولة عن الصحابة وأهل المدينة؛ معقباً ذلك باجتهاداته وترجيحاته، وقد وجد كلُّ من أهل الحديث وأهل الفقه ضالّتهم في هذا السفر الجليل، وتناقلوه في الأمصار، وكثر رواته في الأقطار. ومما يناسب البحث هنا؛ الإشارة إلى أنّ من جملة الروايات العديدة للموطأ، والتي بلغت المئة؛ اختار أهل الغرب الإسلامي رواية يحيى بن يحيى الليثي الأندلسي، واعتمدوها في إقراءهم وشروحاتهم؛ حتى صار اعتمادها عرفاً معتبراً، وسبيلاً متبعاً<sup>(٢)</sup>.

وشروح المغاربة على الموطأ كثيرة متعددة؛ أكتفي هنا بإيراد أهمها؛ لمكانة أصحابها، أو لسعة تداولها<sup>(٣)</sup>.

١- تفسير الموطأ للقنّازي<sup>(٤)</sup>: وهو شرح مفيد حسن التأليف، اشتهر بين العلماء قديماً، وطبع قبل سنوات في مجلدين<sup>(٥)</sup>.

٢- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد: لحافظ المغرب؛ أبي عمر يوسف بن عبد البر، وفضله على الموطأ لا يخفى على أحد، ولقد رتبّه على أسماء

(١) انظر: رياض النفوس (١/٢٣٤)، وترتيب المدارك (٣/٨٠)، والمذهب المالكي، مدارسه ومؤلفاته، محمد المختار (ص ١٥٩-١٦٠)، والمدرسة المالكية الأندلسية، مصطفى هروس (ص ٣٦٨-٣٧٢).

(٢) انظر: رياض النفوس (١/٢٣٤)، وترتيب المدارك (٣/٨٠)، والمذهب المالكي، مدارسه ومؤلفاته، محمد المختار (ص ١٥٩-١٦٠)، ومباحث في المذهب المالكي بالمغرب، عمر الجبدي (ص ١٥-١٦)، قال ابن عبد البر في مقدمة التمهيد: "وإنما اعتمدتُ على رواية يحيى بن يحيى المذكورة خاصة؛ لموضعه عند أهل بلدنا، من الثقة والدين والفضل والعلم والفهم، ولكثرة استعمالهم لروايته؛ ورائة عن شيوخهم وعلمائهم؛ إلا أن يسقط من روايته حديث من أمهات أحاديث الأحكام أو نحوها فأذكره من غير روايته إن شاء الله. فكل قوم ينبغي لهم امتثال طريق سلفهم فيما سبق إليهم من الخير، وسلوك منهاجهم فيما احتملوا عليه من البر؛ وإن كان غيره مباحاً مرغوباً فيه". (١٠/١).

(٣) انظر: ترتيب المدارك (٤/٢٣٩)، والمذهب المالكي، مدارسه ومؤلفاته، محمد المختار (ص ١٥٩-١٦٠).

(٤) القنّازي: هو أبو المطرف عبد الرحمن بن هارون بن عبد الرحمن الأنصاري، كان ورعاً زاهداً صالحاً، من أهل العلم والتفقه في الحديث وعلوم القرآن، من أحسن الناس تثبّطاً لرواية يحيى، وعناية بها، له من الكتب غير شرح الموطأ؛ اختصار كتاب ابن سلام في تفسير القرآن، وكتاب اختصار وثائق ابن الهندي. توفي سنة ٤١٣هـ. انظر: ترتيب المدارك (٧/٢٩٣).

(٥) انظر: مقدمة تفسير الموطأ للقنّازي (١/٦-٧)، والديباج المذهب (١/٤٨٥)، وطبقات المفسرين (٤١/٦٤).

- شيوخ مالك على حروف المعجم، وتعرض فيه لفقه الحديث واستتباطاته، وآراء الفقهاء، مع العناية الخاصة بالأحاديث، وبيان مسندها، ومقطوعها، ومرسلها، وأحوال الرواة وأنسابهم، ولم يسبقه أحد إلى مثله<sup>(١)</sup>.
- قال ابن حزم: "لا أعلم في الكلام على فقه الحديث مثله؛ فكيف أحسن منه"<sup>(٢)</sup>.
- ٣- الاستنكار لمذاهب علماء الأمصار فيما تضمنه الموطأ من معاني الرأي والآثار: للحافظ ابن عبد البر أيضاً، وهو اختصار لكتابه التمهيد؛ اختصر فيه الكلام في الأسانيد، وغلب الجانب الفقهي، واستعراض آراء علماء السلف، وفقهاء المذاهب واستدلالاتهم، وهو كتاب عظيم المنفعة<sup>(٣)</sup>.
- ٤- شروح أبي الوليد الباجي: وهي ثلاثة؛ على مستويات مختلفة: "الاستيفاء"؛ وهو كتاب حفيظ كثير العلم؛ لا يدرك ما فيه إلا من بلغ درجة أبي الوليد في العلم، و"المنتقى"؛ قال عنه صاحب "نفع الطيب": "أحسن كتاب ألف في مذهب مالك، لأنه شرح في أحاديث الموطأ، وفرع عليها تفرعاً حسناً"، و"المنتقى"؛ اختصار لـ "الاستيفاء"، وألف "الإيماء"؛ وهو اختصار للمنتقى<sup>(٤)</sup>.
- ٥- القيس على موطأ مالك بن أنس، لأبي بكر بن العربي: أملاه من لفظه بقرطبة في عدة مجالس، ولم يستوعب جميع الموطأ شرحاً؛ وإنما اعتنى فيه باستخراج القواعد الأصولية، التي بنى عليها مالك مذهبه، وأشار إليها في موطئه، وأما المسائل الفقهية؛ فإنه في الغالب يعرضها على شكل فوائد مختصرة؛ مشيراً فيها إلى رأي أصحاب مالك. وله شرح آخر بعنوان، "ترتيب المسالك، في شرح موطأ مالك"<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر: مقدمة محقق التمهيد (١٠/١)، وترتيب المدارك (١٢٧/٨)، والديباج المذهب (٣٦٧/٢)، ونفع الطيب (١٦٩/٣)، والمذهب المالكي، مدارسه ومؤلفاته، محمد المختار (ص ١٦٠-١٦٣)، والمدرسة المالكية الأندلسية، مصطفى هروس (ص ٣٦٨-٣٧٢).

(٢) رسالة في ذكر الأندلس وذكر رجالها، لابن حزم، (١٧٩/١).

(٣) انظر: ترتيب المدارك (١٢٧/٨)، والديباج المذهب (٣٦٧/٢)، ونفع الطيب (١٦٩/٣)، والمدرسة المالكية الأندلسية، مصطفى هروس (ص ٣٠٠)، وتطور المذهب المالكي في المغرب الإسلامي، محمد شريحيلي (ص ٥٤٤).

(٤) نفع الطيب (١٦٩/٢)، وانظر: الديباج المذهب (٣٨٤/١)، والمذهب المالكي، مدارسه ومؤلفاته، محمد المختار (ص ١٦٠-١٦٥)، والمدرسة المالكية الأندلسية، مصطفى هروس (ص ٣٠٠)، وتطور المذهب المالكي في المغرب الإسلامي (ص ٥٤٤).

(٥) انظر: نفع الطيب (٣٥/٢)، وبغية الملتزم في تاريخ رجال أهل الأندلس (٩٣/١)، والمذهب المالكي، مدارسه ومؤلفاته، محمد المختار (ص ١٦٥-١٦٨).

٦- المَعْلَمُ بفوائد مسلم، للمازري: تظهر أهمية هذا الكتاب بالنسبة للمذهب المالكي في أنه يخرِّج فروع المالكية على أدلتها في صحيح مسلم، كما خرَّج الباجي فروع المالكية على الموطأ، ولا يعتني المازري في كتابه هذا بالترتيب الذي اتبعه مسلم في صحيحه؛ إذ نجده يشرح بعض الأحاديث، ثم يعود بعد ذلك لشرح أحاديث متقدمة عليها، ولعل سبب ذلك يعود لكونه كان يملئ شرحه على طلابه، وربما تجاوز أحاديث ثم بدا له أنها بحاجة للتعليق<sup>(١)</sup>.

٧- عارضة الأحوذى بشرح سنن الترمذي، لابن العربي: اعتنى فيه بالاستدلال والدراسة المقارنة عناية فائقة؛ مع إحالة القارئ إلى كتبه في الأصول والأحكام، ويعدّ هذا الكتاب أحد أهم المصادر المالكية، التي تعتنى بالخلاف الكبير مع قوة الاستدلال<sup>(٢)</sup>.

٨- المَفْهُمُ لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم للقرطبي<sup>(٣)</sup>، وهو لم يستوعب صحيح مسلم كاملاً شرحاً وبياناً، وإنما اعتنى بتوضيح بعض المسائل التي رأى أن فيها إشكالاً يحتاج إلى شرح وبيان، وقد أطال النفس في الاستدلال والترجيح، وتقرير المذهب المالكي في المسائل الخلافية، فهو كتاب أصيل بين كتب الخلافات<sup>(٤)</sup>.

### ثالثاً- كتب أصول الفقه ومن أشهرها:

١- إحكام الفصول في أحكام الأصول: لأبي الوليد الباجي، وقد أولى المؤلف اهتماماً كبيراً للاستدلال، فتراه يورد المسألة الأصولية الخلافية، فيذكر فيها

(١) انظر: مقدمة محقق كتاب المعلم (١٣٢/١-١٣٣)، والديباج المذهب (٢٥٠/٢)، وشجرة النور الزكية (١٨٦/١)، والمذهب المالكي، مدارسه ومؤلفاته، محمد المختار (ص ١٦٨).

(٢) انظر: الديباج المذهب (٢٥٢/٢)، وأزهار الرياض (٩٤/٣) ونفح الطيب (١٦٩/٣)، وشجرة النور الزكية (١٩٩/١)، والمذهب المالكي، مدارسه ومؤلفاته، محمد المختار (ص ١٧٠).

(٣) القرطبي: هو أحمد بن عمر بن إبراهيم بن عمر أبو العباس الأنصاري الأندلسي ثم القرطبي، كان من الأئمة المشهورين، والعلماء المعروفين، جامعاً لمعرفة علوم منها: علم الحديث والفقه والعربية وغير ذلك. وله على كتاب المفهم -المشار له أعلاه- واختصر صحيح البخاري ومسلم، توفي سنة ٦٢٦هـ. انظر: الديباج المذهب (٢٤٢/١)، وشجرة النور الزكية (٢٧٨/١)

(٤) جاء في نفح الطيب (٦١٥/٢): "ومن تصانيفه رحمه الله تعالى المفهم في شرح مسلم وهو من أجل الكتب، ويكفيه شرفاً اعتماد الإمام النووي، رحمه الله تعالى عليه في كثير من المواضع، وفيه أشياء حسنة مفيدة". وانظر: الديباج المذهب (٢٤٢/١)، وشجرة النور الزكية (٢٧٨/١) والمذهب المالكي، مدارسه ومؤلفاته، محمد المختار (ص ١٧٥).

أقوال العلماء وأدلتهم، مع مناقشتها، وترجيح ما يراه راجحاً منها، ملتزماً ببيان مذهب مالك في كل ما يورده؛ مما يجعل الكتاب مرجعاً أساسياً في معرفة آراء مالك وأصحابه<sup>(١)</sup>.

٢- المحصول في علم الأصول لابن العربي: ويعتبر من أهم كتب الأصول لدى المالكية لما فيه من بيان وتحرير لآرائهم في المسائل الأصولية الخلاقية<sup>(٢)</sup>.

رابعاً- الكتب الفقهية وهي كثيرة جداً ومن أشهرها:

١- المدونة الكبرى: وهي المرجع الذي لا يُستغنى عنه في المذهب المالكي بعد "موطأ مالك"؛ فهي عند أهل الفقه كما قال ابن رشد: "ككتاب سيبويه عند أهل النحو، وكتاب إقليدس عند أهل الحساب"<sup>(٣)</sup>.

واسم "المدونة" علمٌ على الصيغة الأخيرة المنقحة المهذبة لما عُرف من قبل بـ"الأسدية"، أو "مدونة أسد بن الفرات"، وأصلها أسئلة مؤلفة على مذهب أهل العراق؛ فقدم بها أسد بن الفرات المدينة ليسأل عنها مالكاُ رحمه الله، ويردّها على مذهبه؛ فألفاه قد توفي، فأتى أشهب؛ لكنه لم يرتضه، فذلّ على ابن القاسم؛ فجعل يسأله، وابن القاسم يجيب بما سمعه عن مالك، وما بلغه عنه، وما كان يراه هو من اجتهاده، ثم أخذها سحنون عن أسد في القيروان؛ ولما ارتحل سحنون إلى المدينة أخذها معه، وعرضها على ابن القاسم، فأصلح فيها كثيراً، ثم رتبها، وبوبها، واحتج لكثير من مسائلها بالآثار من مروياته؛ على طريقة مالك<sup>(٤)</sup>. واختصاص سحنون بنسبتها إليه يعود إلى ما أدخل عليها من التهذيب والتنظيم، وما ألحقه بها من الأحاديث والآثار<sup>(٥)</sup>.

قال الشيرازي: "وصنّف -سحنون- المدونة، وعليها يعتمد أهل القيروان، وحصل له من الأصحاب ما لم يحصل لأحد من أصحاب مالك"<sup>(٦)</sup>.

(١) انظر: الديباج المذهب (٣٨٤/١)، ونفح الطيب (٦٩/٢)، والمذهب المالكي، مدارسه ومؤلفاته، محمد المختار (ص ١٦٥-١٦٥)، والمدرسة المالكية الأندلسية، مصطفى هروس (ص ٣٠٠).

(٢) نفح الطيب (٦٩/٢)، وانظر: الديباج المذهب (٣٨٤/١)، وطبقات المفسرين للداودي (١/١٦٩).

(٣) انظر: المقدمات الممهدة (٤٤/١).

(٤) انظر: سير أعلام النبلاء (٦٨/١٢).

(٥) انظر: المقدمات الممهدة (٤٥/١)، ودراسات في مصادر الفقه المالكي (ص ٤٣)، والمذهب المالكي، مدارسه ومؤلفاته، محمد المختار (ص ٢٤٧)، والمدرسة المالكية الأندلسية، مصطفى هروس (ص ٣٧٣).

(٦) انظر: ترتيب المدارك (٢٦/١)، وطبقات الفقهاء (ص ١٥٧).



٢- الواضحة: لفقهِه الأندلس أبي مروان؛ عبد الملك بن حبيب بن سليمان بن هارون السلمي القرطبي، وهو من أهم الكتب الفقهية في القرنين الثالث والرابع من الهجرة، وقد حظي بمكانة متميزة في بلاد الأندلس، قال عنه القاضي عياض: "الواضحة في السنن والفقهِه؛ لم يؤلف مثلها"<sup>(١)</sup>، وتمتاز بعرض الخلاف الكائن بين مالك ومن عاصره من أهل المدينة، مع ترجيح رأي مالك في الغالب<sup>(٢)</sup>.

وقد كان لمؤلفات ابن حبيب عمومًا، والواضحة خصوصًا، دور كبير جدًا في نشر المذهب المالكي بالأندلس<sup>(٣)</sup>.

٣- المستخرجة من الأسمعة (العُتبية): لمحمد بن أحمد العُتبي؛ تلميذ ابن حبيب، وهي سماعات من مجموعة من الفقهاء، أخذوا عن مالك مباشرة؛ وتتميز العُتبية بمنهج الاختصار والاقتصار على الفروع، بالرغم من سعة انتشارها في إفريقية والأندلس؛ إلا أنها انتقدت من بعض العلماء العارفين بالمذهب؛ لكثرة ما فيها من الروايات المطروحة، والمسائل الشاذة، إلى أن أتى ابن رشد وأزال ما فيها من إشكال في كتابه البيان والتحصيل، وسيأتي<sup>(٤)</sup>.

٤- النوادر والزيادات، والرسالة لابن أبي زيد القيرواني، وقد ظل الأفرقيون يقتصرون في الفقه على المدونة إلى أن برز فيهم في القرن الرابع الهجري ابن أبي زيد القيرواني، أو مالك الصغير كما استحق هذا اللقب بجدارة؛ وذلك لما حباه الله من سعة في العلم، وقوة في الحفظ والرواية، وجهود في التأليف والتدريس، نال بها إمامة المالكية؛ فهو "جامع مذهب مالك، وشارح أقواله"<sup>(٥)</sup>. وقد أثرى المكتبة المالكية بعدد من الكتب، من أهمها:

(١) انظر: ترتيب المدارك (١٢٧/٤).

(٢) انظر: دراسات في مصادر الفقه المالكي (ص ٥٢).

(٣) انظر: ترتيب المدارك (١٢٧/٤)، ودراسات في مصادر الفقه المالكي (ص ٤٦)، والمذهب المالكي، مدارسه ومؤلفاته، محمد المختار (ص ٢٤٧)، والمدرسة المالكية الأندلسية، مصطفى هروس (ص ٣٧٦).

(٤) انظر: ترتيب المدارك (٢٥٣/٤)، ودراسات في مصادر الفقه المالكي (ص ٤٤)، والمذهب المالكي، مدارسه ومؤلفاته، (ص ٢٥٠) والمدرسة المالكية الأندلسية، مصطفى هروس (ص ٣٩٨).

(٥) انظر: الديباج المذهب (٤٢٧/١).

النوار والزيادات؛ تلك الموسوعة الضخمة التي اشتملت على جميع ما في الأمهات من المسائل والخلاف والأقوال؛ حتى صار المعول عليها في التفقه في المغرب؛ كما قال عياض<sup>(١)</sup>، وطريقته فيهما مبنية على التأصيل والتدليل، والاستقلالية<sup>(٢)</sup>.

وله كذلك كتابه الرسالة؛ وهو أكثر كتبه انتشاراً، وأعظمها تأثيراً في الفقه، ابتداءً رواجه من حياة مؤلفه، واستمر تعاقب الشروح عليه والعناية به إلى عصرنا هذا<sup>(٣)</sup>.

٥- الجامع لمسائل المدونة والأمهات: لأبي بكر محمد بن عبد الله بن يونس التميمي الصقلي، ويعرف الكتاب بـ "المصحف المذهب"، لصحة مسائله، ووثوق صاحبه، عدّه القاضي عياض من الشروح الكبيرة للمدونة، وعليه اعتماد الطالبين بالمغرب للمذاكرة<sup>(٤)</sup>.

٦- الكافي في فقه أهل المدينة المالكي: لأبي عمر ابن عبد البر؛ ويتّصف هذا الكتاب بسلاسة الأسلوب ودقة العبارة، وقد اعتمد فيه على دواوين المذهب الموثوق بها، لكنه لا يعتني بالاستدلال، وإنما يسرد الفروع سرداً؛ دون ذكر ما يؤيدها؛ إلا في القليل النادر، وهذا تماشياً مع هدفه من التأليف؛ فإنه وضعه مختصراً في الفقه؛ كما وضّح ذلك في مقدّمته<sup>(٥)</sup>.

٧- التبصرة للّخمي: تعليق كبير على المدونة؛ اعتنى فيه بتخريج الخلاف في المذهب واستقراء الأقوال، وربما اتبع نظره فخالف المذهب فيما ترجح عنده، فخرجت اختياراته في الكثير عن قواعد المذهب<sup>(٦)</sup>.

(١) انظر: ترتيب المدارك (٢١٧/٦)، وتاريخ ابن خلدون (٥٦٩/١).

(٢) انظر: ترتيب المدارك (٢١٧/٦)، ودراسات في مصادر الفقه المالكي (ص٤٥)، والمذهب المالكي، مدارسه ومؤلفاته، محمد المختار (ص٢٥٥)، وتطور المذهب المالكي في المغرب الإسلامي (ص٥٠٢).

(٣) انظر: ترتيب المدارك (٢١٧/٦)، والديباج المذهب (٤٢٧/١)، والمذهب المالكي، مدارسه ومؤلفاته، محمد المختار (ص٢٥٥)، ودراسات في مصادر الفقه المالكي (ص٢٣).

(٤) انظر: ترتيب المدارك (١١٤/٨)، ودراسات في مصادر الفقه المالكي (ص٢٠)، والمذهب المالكي، مدارسه ومؤلفاته، محمد المختار (ص٢٥٥)، وتطور المذهب المالكي في المغرب الإسلامي (ص٥١٠).

(٥) انظر: الكافي (١٣٦/١)، ودراسات في مصادر الفقه المالكي (ص٢٢)، والمذهب المالكي، مدارسه ومؤلفاته، محمد المختار (ص٢٦٥)، وتطور المذهب المالكي في المغرب الإسلامي (ص٥٤٤).

(٦) انظر: ترتيب المدارك (١٠٥/٢)، والديباج المذهب (١٠٥/٢)، ودراسات في مصادر الفقه المالكي (ص٤٨)، والمذهب المالكي، مدارسه ومؤلفاته، محمد المختار (ص٢٦٩)، وتطور المذهب المالكي في المغرب الإسلامي (ص٥١٣).

٨- البيان والتحصيل لما في المستخرجة من التوجيه والتعليل: لأبي الوليد؛ ابن رشد الجد، وهو كتاب عظيم؛ شرح فيه العُنْبِيَّة؛ شرحاً موسعاً؛ مبيناً أوجه الوفاق والخلاف داخل المذهب وخارجه؛ مع الترجيح، وقد أزال ابن رشد بشرحه هذا الاعتراضات والانتقادات التي كانت توجه للعتبية، حتى أصبحت من الكتب المقبولة والمعتمدة لدى المالكية<sup>(١)</sup>.

٩- المقدمات الممهدة لبيان ما اقتضته رسوم المدونة من الأحكام الشرعية، والتحصيلات المحكمات لأمهاة مسائلها المشكلات: لابن رشد -الجد- أيضاً. وهذا الكتاب ليس من كتب فروع الفقه العادية، ولا من كتب الأصول، وإنما هو بدع من التأليف يحتوي على دراسات وتأملات فقيه مالكي ضليع، بلغ درجة الاجتهاد المذهبي، بل الاجتهاد المطلق، ينظر في ميدان الخلاف العالي، وينافح عن مذهبه المالكي بالحجة والبرهان<sup>(٢)</sup>.

١٠- بداية المجهود ونهاية المقتصد: لأبي الوليد بن رشد؛ المعروف بالحفيد؛ يعدّ هذا الكتاب من كتب الخلاف العالي؛ غير أن مؤلفه قد اعتنى فيه بمذهبه المالكي عناية فائقة؛ فهو لا يترك مسألة خلافية تمر به إلا بيّن فيها مذهب المالكية، بل إنه يقتصر أحياناً ببيان الخلاف داخل المذهب<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر: ترتيب المدارك (١٠٥/٢)، والديباج المذهب (١٠٥/٢)، ودراسات في مصادر الفقه المالكي (ص ٤١)، والمذهب المالكي، مدارسه ومؤلفاته، محمد المختار (ص ٢٧١)، وتطور المذهب المالكي في المغرب الإسلامي (ص ٥٣٥).

(٢) انظر: المقدمات الممهدة (٦/١)، ومقدمة المحقق د. محمد حجي، ودراسات في مصادر الفقه المالكي (ص ٤١)، والمذهب المالكي، مدارسه ومؤلفاته (ص ٢٥٥).

(٣) قال ابن رشد في مقدمة كتابه بداية المجتهد (٩/١)؛ معرفاً بطريقته فيه: "فإن غرضي في هذا الكتاب أن أثبت فيه لنفسي على جهة التذكير من مسائل الأحكام المنطق عليها والمختلف فيها بأدلتها، والتنبيه على نكت الخلاف فيها؛ ما يجري مجرى الأصول والقواعد؛ لما عسى أن يرد على المجتهد من المسائل المسكوت عنها في الشرع، وهذه المسائل في الأكثر هي المسائل المنطوق بها في الشرع، أو تتعلق بالمنطوق به تعلقاً قريباً؛ وهي المسائل التي وقع الاتفاق عليها، أو اشتهر الخلاف فيها بين الفقهاء الإسلاميين من لدن الصحابة رضي الله عنهم إلى أن فشا التقليد" وانظر: المذهب المالكي، مدارسه ومؤلفاته (ص ٢٧٥).

## المبحث الثاني

## خصائص المدرسة العلمية والمنهجية

لقد تميزت المدرسة المغربية بخصائص وسمات، رشحتها لتلك المكانة المرموقة ضمن المدارس الأخرى، ومنحتها ذلك النفس المتجدد، الذي ظلت تتأفح به قروناً طويلة من الزمن، ولم يصبها ما أصاب غيرها من المدارس من أنواع الانحسار والتلاشي، فكانت بذلك أقوى المدارس الفقهية المالكية بلا منازع، ومن أقوى المدارس الفقهية عموماً في تميزها وانتشارها وثباتها وبقائها، وقد ألقت الكتب والمجلدات في بيان خصائص وسمات المدرسة المغربية<sup>(١)</sup>، ولا يسع هذا التمهيد لاستقصائها وتفصيلها وشرحها، وإنما حاولت بشكل إجمالي بيان وجمع أهم وأبرز تلك الخصائص والسمات العلمية والمنهجية للمدرسة المالكية المغربية<sup>(٢)</sup>، وهي كالتالي<sup>(٣)</sup>:

١- من أهم ما تميزت به المدرسة المغاربية، أنها نتاج لمدارس المالكية الثلاث (المدنية - المصرية - العراقية)، بجمعها لمميزات تلك المدارس، والجمع بين مدرسة الفقه التطويري المتمثل في منهج علي بن زياد، ثم أسد بن الفرات في الأُسدية، التي تأثرت بفقه أهل الرأي بالعراق، ثم جاء سحنون فربط فقه الأُسدية

(١) تنوعت الكتب والبحوث في بيان خصائص وسمات المدرسة المالكية المغربية؛ فذهب بعض الباحثين إلى فصل تقسيم المدرسة المغاربية إلى مدرسة القيروان ومدرسة الأندلس، وبالتالي بحث خصائص كل مدرسة على حده، وذهب آخرون إلى بيان خصائص المدرسة المغاربية جملة دون تقسيمها، والذي سرت عليه وفقاً للخطة هو دمج المدرستين؛ لكونهما عند البحث والتحقيق؛ نلاحظ أن المدرستين تشتركان بصفة إجمالية في أهم وأبرز تلك الخصائص والسمات العلمية والمنهجية. انظر: مباحث في المذهب المالكي بالمغرب، عمر الجبدي (ص١٧٣) وما بعدها، وتطور المذهب المالكي في الغرب الإسلامي، محمد شراحيل (ص٣٧٣) وما بعدها، والمذهب المالكي، مدارسه ومؤلفاته، محمد المختار (ص١١٤)، والمدرسة المالكية الأندلسية، مصطفى هروس (ص٢٨٠) وما بعدها، وبحث بعنوان: المذهب المالكي في بلاد المغرب، خير الدين سيب، ضمن مجموع بحوث أعمال الملئقى الوطني الرابع للمذهب المالكي بولاية عين الدفلى (ص٧٤) وما بعدها.

(٢) عند الحديث عن خصائص وسمات المدرسة المالكية المغربية، نستحضر أن المدرسة المالكية في القيروان والأندلس مرت بمراحل وحقب، لم تكن فيها على وتيرة واحدة، فاختلفت بناء على ذلك من حيث القوة والضعف، والانحسار والازدهار، والتقليد والاجتهاد، إلى غير ذلك من الاختلافات الناتجة عن المرحلة والحقبة التي كانت فيها، وعليه اختلف علماءها في مناهجهم، والذي يهم هنا، هو بيان أهم الخصائص والسمات العلمية والمنهجية التي كانت في عصر الازدهار، والتي استقرت عليها المدرسة المغاربية في الجملة، وهذا المنهج سار عليه كثير من الباحثين الذين وقفت عليهم. انظر: المراجع السابقة.

(٣) ترددت في تقسيم الخصائص إلى علمية ومنهجية، إلا أنني رأيت أنها تتداخل فيما بينها، وأن عادة الباحثين في هذا أنهم يذكرون خصائص المدرسة العلمية والمنهجية جملة دون تقسيم. انظر: تطور المذهب المالكي في الغرب الإسلامي، محمد شراحيل (ص٣٧٣) وما بعدها، والمذهب المالكي، مدارسه ومؤلفاته، محمد المختار (ص١١٤)، والمدرسة المالكية الأندلسية، مصطفى هروس (ص٢٨٠) وما بعدها، وبحث بعنوان: المذهب المالكي في بلاد المغرب، خير الدين سيب، ضمن مجموع بحوث أعمال الملئقى الوطني الرابع للمذهب المالكي بولاية عين الدفلى (ص٧٤) وما بعدها.

بالأثر على طريقة أهل المدينة، دون أن يهمل ما عليه العمل من ذلك الأثر على طريقة أهل مصر، وابن أبي زيد، وابن عبد البر، وغيرهم رحمهم الله تعالى<sup>(١)</sup>.

٢- التمسك بمذهب أهل السنة والدفاع عنه، والوقوف في مواجهة الفرق الضالة والمبتدعة، والتصدي للدعوات المنحرفة، حيث كان عامة أهل العلم ببلاد المغرب والأندلس -إلا من شذ منهم- على مذهب أهل السنة في الأصول، وكان ذلك باعثاً لهم على التمسك بمذهب مالك؛ الذي كان يعتبر أحد أئمة السنة المتبعين في الاعتقاد كما في الفروع، وعُرف كغيره من أئمة الحديث والسنة بنهيه الشديد عن الخوض في الكلام، والتحذير من أهله، وعلى هذا المنهج سار أكثر أئمة المالكية، ومن نظر في الكتب التي سقناها آنفاً، تظهر له جلياً عقيدة الإمام مالك؛ السنية<sup>(٢)</sup>.

ومما جاء في كتاب الحكم المستنصر<sup>(٣)</sup> إلى أحد فقهاء الأندلس: "قد نظرنا طويلاً في أخبار الرجال، وقرأنا ما صنف من أخبارهم إلى يومنا هذا؛ فلم نر مذهباً من المذاهب غيره أسلم من مذهب مالك، وإن فيهم الجهمية والرافضة والخوارج والمرجئة والشيعة، إلا مذهب مالك؛ ما سمعنا أن أحداً ممن تقلد مذهبه قال بشيء من هذه البدع، فالاستمسك به نجاة إن شاء الله"<sup>(٤)</sup>.

(١) وقد أشار إلى ذلك القاضي عياض في ترتيب المدارك (٢٩٩/٣) في معرض كلامه عن الأسدية، واعتماده على الرأي وطريقة تعامل سحنون معها فقال: "ونظر سحنون فيها نظراً آخر فيذهبها، ويوبها ودونها، والحق فيها من خلاف كبار أصحاب مالك ما أختار ذكره، وذيل أبوابها بالحديث والآثار... وهي أصل المذهب المرجح روايتها على غيرها، عند المغاربة". وانظر: المذهب المالكي، مدارسه ومؤلفاته، محمد المختار (ص١١٣-١١٥)، وبحث بعنوان: المذهب المالكي في بلاد المغرب، خير الدين سيب، ضمن مجموع بحوث أعمال الملتقى الوطني الرابع للمذهب المالكي بولاية عين الدفلى (ص٧٤).

(٢) انظر على سبيل المثال: مقدمة الرسالة لابن أبي زيد القيرواني؛ حيث يقرر عقيدة أهل السنة والجماعة بكل وضوح، وقال حافظ المغرب ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٩٤٢/٢): "جمع أهل الفقه والآثار من جميع الأمصار أن أهل الكلام أهل بدع وزيف، ولا يعدون عند الجميع في طبقات الفقهاء، وإنما العلماء أهل الأثر والتفقه فيه، ويتفاضلون فيه بالإتقان والميز والفهم".

(٣) الحكم المستنصر: هو الحكم بن الخليفة عبد الرحمن الناصر؛ أبو العاص، الملقب بالمستنصر بالله، أمير المؤمنين بالأندلس، الأموي، المرواني، كان حسن السيرة، جامعاً للعلوم، محباً لها، مكرماً لأهلها، وجمع من الكتب في أنواعها ما لم يجمعه أحد من الملوك قبله هناك. توفي سنة ٥٦٦هـ. انظر: بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس (١٨/١)، وسير أعلام النبلاء (٢٦٩/٨).

(٤) المعيار المعرب للونشريسي (٣٤٦/١) وقد قال: "وبحسب هذا المعتقد؛ كتب الحكم المنتصر بالله إلى الفقيه أبي إبراهيم، وكان الحكم رحمه الله ممن بحث عن أحوال الرجال ونقر عن أخبارهم تنقيراً لم يبلغ فيه شأوه كثير من أهل العلم، ولم أر قط تأليفاً قوبل بأصل من أصول خزائنه، أو بما قوبل بأصل منها ولو بوساطة، إلا اطلعت منه على العجب في الصحة. وفي كتبي بعض منها. فقال في كتابه المذكور: وكل من زاغ عن مذهب مالك، فإنه ممن رين على قلبه وزين له سوء عمله. وقد نظرنا طويلاً في أخبار الفقهاء،...".

٣- الاجتهاد والبعد عن الجمود، والتعصب المذهبي، والتمسك بالدليل، فالمدرسة المغاربية اشتهرت بتميزها في الاجتهاد؛ بل واستقلالها عن مذهب مالك من ناحية فردية وجماعية؛ أما من الناحية الفردية فتمثلت في اجتهاد عدد من العلماء الأفاضل، ابتداءً من الإمام يحيى بن يحيى الليثي، وعبد الملك بن حبيب، وابن لبابة، وابن عبد البر، والباقي، واللخمي، وابن رشد، وغيرهم، ولهم اختيارات خالفوا فيه مذهب مالك والمشهور منه، كما أن المدرسة لها الاستقلال الجماعي عن مذهب مالك في عدد من المسائل المشهورة، ليس هذا موضع تفصيلها<sup>(١)</sup>.

٤- الموسوعية العلمية، وتنوع العلوم والمعارف، والتي كان لها أثر في الاجتهاد الفقهي في المدرسة المغاربية، وهي سمة وخصيصة ظاهرة في المدرسة المغاربية عموماً، وفي المدرسة الأندلسية خصوصاً، قال ابن حزم: "فكان أهلها من التمكن في علوم القراءات والروايات، وحفظ كثير من الفقه، والبصر بالنحو والشعر واللغة والجبر والطب والحساب والنجوم، بمكان رحب الفناء، متتائي الأقطار، فسيح المجال"<sup>(٢)</sup>.

كما تظهر هذه الميزة والخصيصة جلياً في أمرين:

أولاً: عناية المدرسة بعلوم القرآن والحديث خصوصاً، وقد تميزت بذلك على المدارس المالكية الأخرى، وهذا ظاهر في أعلام ومؤلفات المدرسة المغاربية<sup>(٣)</sup>.

(١) منها المسائل الست المشهورة التي نظمها ابن غازي بقوله:

قد خولف المذهب في الأندلس ... في ستة منهن سهم الفرس  
وغرس الأشجار لدى المساجد ... والحكم باليمين قُل والشاهد  
وخلطة والأرض بالجزء تلي ... ورفع تكبير الأذان الأول

وهذه المسائل الست عليها سائر عامة المدرسة المالكية المغاربية. انظر: الدر الثمين والمورد المعين، محمد ميارة الفاسي (ص ٢٨٤)، والمدرسة المالكية الأندلسية، مصطفى هروس (ص ٢٩٠) وما بعدها.

(٢) رسالة في ذكر الأندلس وذكر رجالها لابن حزم (١٧٩/١)، ونفح الطيب (١٦٣/٢).

(٣) انظر: رسالة في ذكر الأندلس وذكر رجالها لابن حزم (١٧٩/١)، ونفح الطيب (١٦٣/٢)، والمدرسة المالكية الأندلسية، مصطفى هروس (ص ٣٣٢).

- ثانياً: اتقان المدرسة لعلوم آلات الشريعة، واشتغالهم بالمناظرة، حيث اشتهر في عدد من أعلامها وفقهائها بعلم الأصول والنحو والأدب والبلاغة<sup>(١)</sup>.
- ٥- ربط الأحكام بأدلتها من الكتاب والسنة، ومرويات الصحابة والتابعين، مع التمسك بما كان عليه أهل المدينة النبوية، والبعد عن التوسع في الآراء والأقيسة؛ وهذه طريقة مالك رحمه الله، وقد ورثها عنه طلابه، وكل من أخذ عنهم؛ كما هو جلي في كتب عدد من علماء المدرسة كابن عبد البر، والباقي، وابن العربي وغيرهم<sup>(٢)</sup>.
- ولهذا تحفظ علماء القيروان من مدونة أسد بن الفرات؛ حين جاءهم بطريقة العراقيين؛ فقالوا له: "أجئتنا بأخال وأظن وأحسب، وتركت الآثار وما عليه السلف؟"<sup>(٣)</sup>.
- ٦- الاهتمام بالفقه المقارن مع الترجيح، مع مراعاة الخلاف العالي؛ ويظهر هذا في عدد من مؤلفات أعلام المدرسة، كالتمهيد والاستذكار لابن عبد البر، ومؤلفات ابن العربي وغيرها؛ فإن هذه الكتب تحكي الخلاف داخل المذهب وخارجه، وتسترسل في مناقشة الأقوال على طريقة المناظرة أحياناً، والردّ النقدي أحياناً أخرى، مع ترجيح القول الأقوى داخل المذهب أو خارجه<sup>(٤)</sup>.
- ٧- المرونة؛ إن كثرة أصول المذهب المالكي وتوسعها -تتوعا ومقداراً-؛ مقارنة مع أصول المذاهب الأخرى يجعله أكثر مرونة، وموافقة لمقاصد التشريع؛ وهذا ما حرّره وبيّنه بعض أئمة المذهب من الأندلسيين؛ مثل الشاطبي وابن العربي؛ من خلال تعريفهما للاستحسان، ومراعاة المقاصد الشرعية، وجلب

(١) انظر: رسالة في ذكر الأندلس وذكر رجالها لابن حزم (١٧٩/١)، ونفح الطيب (١٦٣/٢)، والمدرسة المالكية الأندلسية، مصطفى هروس (ص ٣٥٢).

(٢) انظر: ترتيب المدارك (٨٩/١)، وقال ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٣٢٨/٢٠): "من تدبر أصول الإسلام وقواعد الشريعة وجد أصول مالك وأهل المدينة أصح الأصول والقواعد، وقد ذكر ذلك الشافعي وأحمد وغيرهما"، وهذه ميزة لمذهب مالك عموماً؛ وللمدرسة المغاربية خصوصاً.

(٣) انظر: ترتيب المدارك (٢٩٨/٣).

(٤) انظر: ترتيب المدارك (١٢٧/٨)، والديباج المذهب (٢٥٢/٢ و ٣٦٧)، وأزهار الرياض (٩٤/٣)، ونفح الطيب (١٦٩/٣)، والمذهب المالكي، مدارسه ومؤلفاته، محمد المختار (ص ١٦٥-١٦٥)، وتطور المذهب المالكي في الغرب الإسلامي، محمد شرحبيلي (ص ٣٧٥).

المصالح، ودفع المفسد، ورفع الحرج، وجلب التيسير، ومراعاة الخلاف، واعتبار العرف<sup>(١)</sup>.

٨- الوسطية؛ إن المدرسة المالكية في القيروان والأندلس، نشأت بين مذهبين متباعدين متناقضين؛ مذهب الاسترسال والتوسع في القياس، ومذهب الجمود على ظواهر النصوص، ونفي القياس، فقد كانت القيروان على طريقة الكوفيين<sup>(٢)</sup>، وكان جزء من الأندلس على مذهب أهل الظاهر<sup>(٣)</sup>، لذا قال العلامة الشاطبي رحمه الله: "فقد قالوا في مذهب داود، لما وقف مع الظاهر مطلقاً: إنه بدعة حدثت بعد المئتين، وقالوا في مذهب أصحاب الرأي: لا يكاد المغرق في القياس إلا أن يفارق السنة؛ فإن كان ثم رأي بين هذين؛ فهو الأولى بالاتباع"<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر: الموافقات (١٩٣/٥) وما بعدها، تطور المذهب المالكي في الغرب الإسلامي، محمد شرحبيلي، (ص ١٤٣-١٤٥).

(٢) انظر: ترتيب المدارك (٢٥/١)، والمذهب المالكي النشأة والموطن، محمد الغرياني (ص ٢٢-٢٣).

(٣) انظر: تاريخ ابن يونس (٨٧/٢)، وترتيب المدارك (٢٦/١) وتطور المذهب المالكي في الغرب الإسلامي، محمد شرحبيلي، (ص ١٤٣-١٤٥).

(٤) انظر: الموافقات (٢٨٠/٥) وما بعدها.



## المبحث الثالث

## إسهامات المدرسة في بناء المذهب المالكي

إنّ نظرة سريعة في التراث الفقهي المالكي المغاربي، وبخاصة الأمهات المعتمدة، يدرك بها القارئ حجم الجهد الذي بذله المغاربة في خدمة العلوم الشرعية عموماً، والفقهاء المالكي بوجه خاص؛ ولا يُبالغ إن قيل: إنّ أثرهم تعدّى إلى المذاهب الأخرى. وتمثلت إسهامات هذه المدرسة المباركة فيما يلي:

## - التأليف:

من أبرز الأعلام الذين لهم بالغ الأثر: ابن عبد البر، والباجي، وابن العربي، وابن أبي زيد القيرواني، وابن رشد؛ فإنهم من أفاض المذهب خصوصاً، والفقهاء عموماً، وممن تركوا آثاراً خلّدت جهودهم<sup>(١)</sup>.

## - التدريس:

ومن أوسع المجالات التي أسهمت في ازدهار المذهب المالكي؛ ميدان التعليم والتدريس؛ وهو المجال الذي أظهر الكتب والأمهات عن طريق الإملاء؛ فتخرج على أيدي العلماء أجيال من المتفهمة، وبرز منهم فقهاء أجلاء<sup>(٢)</sup>. والأمثلة على ذلك كثيرة منها؛ أن ابن حبيب كان يخرج من الجامع وخلفه نحو من ثلاثمئة؛ من طلاب الحديث والفرائض والفقهاء، والإعراب<sup>(٣)</sup>. ومن ذلك ما نُقل عن المحدث يحيى بن هلال<sup>(٤)</sup> أنه كان يجلس كل يوم لإسماع المدونة، من الظهر إلى الليل، يستوعب قراءتها كل شهر، تهادى على ذلك عمره<sup>(٥)</sup>. وهكذا؛ ظلّت مجالس التدريس سنة متبّعة؛ جيلاً بعد جيل، يتعاقب العلماء على ميراث النبوة.

(١) وقد سبق بيان أشهر تلك المؤلفات في المطلب الأول.

(٢) انظر: تطور المذهب المالكي في الغرب الإسلامي، محمد شرحبيلي (ص ٣١٧-٣٢٣).

(٣) انظر: ترتيب المدارك (١٢٤/٤).

(٤) يحيى بن هلال: هو الفقيه المحدث أبو زكريا يحيى بن هلال بن زكريا بن سليمان بن مطر القرطبي، كان حافظاً لمسائل

المالكية، بصيراً بالعمود، مقصوداً في السماع، درباً عليه، لم ير في المحدثين أصبر منه على المواظبة، توفي سنة ٣٦٧هـ.

انظر: ترتيب المدارك (٣٠١/٦)، وجمهرة تراجم الفقهاء المالكية (١٣٦٧/٣).

(٥) انظر: ترتيب المدارك (٣٠١/٦).

## - القضاء:

كان لمنصب القاضي قديماً مكانة مرموقة، ومنزلة عالية، فالقاضي هو من يُعين الخليفة، أو الملك على القيام بواجب من أوجب واجباته، فإن الله عز وجل بإقامته الحق بين عباده، جعل الحكم بينهم أرفع الأشياء، وأجلها خطراً، واستخلف الخلفاء في الأرض ليقوموا حكمه، وينصفوا من عباده، والقضاء مجال مهم يتيح لمن تولاه معالجة أحوال الدولة والمجتمع في آن واحد، وهو ما يمكنه من التطبيق الفعلي للمذهب الذي يبناه، وهذا بلا شك يسهم في انتشاره واستقراره واستمراريته<sup>(١)</sup>.

ولقد ولي القضاء في المغرب كبار المالكية، نذكر منهم على سبيل المثال:

- الإمام سحنون؛ قاضي القيروان؛ والذي كان له دور مهم جداً في نشر المذهب المالكي، عبر الأحكام والأقضية، وتنصيب الوكلاء<sup>(٢)</sup>، وزجر أهل البدع؛ فإنه أول قاضٍ فرّق أهل البدع من الجامع، وكانوا فيه حلقة؛ من الإباضية والمعتزلة وغيرهم، وأدب جماعة منهم<sup>(٣)</sup>.

- القاضي يحيى بن يحيى الليثي: قاضي الأندلس، وكان مستشاراً لعبد الرحمن بن الحكم، الذي كان لا يحيد عن مشورته، وكان يحيى هو الذي يولي مكانه<sup>(٤)</sup>.  
وكالباجي وابن رشد وغيرهم؛ ممّن ساهموا في خدمة المذهب عبر القضاء كثير.

## - مجالس الفتوى:

جاء في "نفتح الطيب": "وبخارج قرطبة ثلاثة آلاف قرية، في كل واحدة منبر وفقه مقلّس -لابس القلنسوة- تكون الفتيا في الأحكام والشرائع له، وكان لا يجعل القالس عندهم على رأسه إلا من حفظ الموطأ، وقيل: من حفظ عشرة آلاف حديث عن النبي ﷺ - وحفظ المدوّنة"<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر: تطور المذهب المالكي في الغرب الإسلامي، محمد شرحبيلي، (ص ٣٢٣-٣٢٣)، المدرسة المالكية الأندلسية، مصطفى

هروس (ص ٢٣١-٢٥٠).

(٢) انظر: ترتيب المدارك (٤/٥٥).

(٣) انظر: معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان للدباغ (٢/٨٧).

(٤) انظر: المقتبس من أبناء الأندلس (١٧٨).

(٥) انظر: نفتح الطيب (١/٤٥٨).

هذا النص يبيّن لنا مدى انتشار مجالس الفتوى في بلاد المغرب والأندلس، والدور الكبير الذي قامت به هذه المدرسة العريقة في خدمة الفقه عموماً، والمالكي منه خصوصاً؛ ذلك لأنها تساهم في توسيعه، وإثراء مادته<sup>(١)</sup>.

ولم يقتصر دور الإفتاء في المساجد فحسب؛ بل كان له دورٌ وأثرٌ في شتى المجالات؛ ومنها القضاء؛ فكان بعض الأمراء إذا ولّى أحدًا من قضائهم؛ كان فيما يعهد إليه: "ألا يقطع أمراً، ولا يبيت حكومة في صغير من الأمور، ولا كبير؛ إلا بمحضر أربعة من الفقهاء"<sup>(٢)</sup>.

كما كان لها دور سياسي عظيم، تمثل في قيام جماعة من المفتين الصادعين بالحق في إفريقية، من بيان حال بني عبيد الزنادقة، والوقوف في وجه طغاتهم؛ فقد اجتمع ابن أبي زيد القيرواني، والقابسي، وعدد من فقهاء المالكية<sup>(٣)</sup>؛ وبيّنوا حال بني عبيد المرتدين، وأفتوا بأنه لا يُعذر أحد بالإكراه على الدخول في مذهبهم<sup>(٤)</sup>.

وأخيراً لم يلق مذهب الإمام مالك من العناية والاهتمام -على مدى تاريخه الطويل- مثل ما لقيه في المغرب الإسلامي عموماً، وفي القيروان والأندلس خصوصاً؛ على يد علمائها وفقهائها؛ فقد وقف هؤلاء الجهابذة حياتهم لخدمته، وجهودهم لرعايته وحمايته؛ فكانوا بما قدّموه في مؤلفاتهم من تأصيل، وتدليل، وفي دروسهم من شرح وتبيين، وفي أفضيتهم وفتاويهم من حكم، وتنزيل؛ مصابيح يهتدى بنورهم، ويقنّدى بآثارهم.

(١) انظر: المدرسة المالكية الأندلسية، مصطفى هروس (ص ٢٠٥-٢٣٠)، وتطور المذهب المالكي في الغرب الإسلامي، محمد شراحيبي، (ص ٣٧٠).

(٢) القائل هو الأمير الفقيه المجاهد؛ يوسف بن تاشفين انظر: المعجب في أخبار المغرب (١/١٣٠).

(٣) كأبي القاسم بن شبلون، وأبو علي بن خلدون، وأبو محمد الطريقي، وأبو بكر بن عذرة. انظر: ترتيب المدارك (٧/٢٧٧)، وتطور المذهب المالكي في الغرب الإسلامي، محمد شراحيبي (ص ٣٧٠).

(٤) انظر: ترتيب المدارك (٧/٢٧٧)، وتطور المذهب المالكي في الغرب الإسلامي، محمد شراحيبي (ص ٣٧٠).

### النتائج

- ١- المدرسة المالكية المغربية هي: "الاتجاه الفقهي الذي سلكه أتباع الإمام مالك في المغرب".
- ٢- اشتهرت القيروان في مرحلة التأسيس؛ بأعلام منهم؛ علي بن زياد التونسي، وابن زياد؛ والبهلول بن راشد، وأسد بن الفرات، وسحنون، وغيرهم، ثم أتى بعد ذلك؛ ابن أبي زيد القيرواني، والبراذعي، وابن يونس، واللخمي، وغيرهم.
- ٣- اشتهرت الأندلس في مرحلة التأسيس بأعلام منهم؛ الغازي بن قيس الأموي، وزيايد بن عبد الرحمن، ثم أتى بعدهم؛ ابن عبد البر، والباجي، وابن رشد الجد والحفيد، وابن العربي، وغيرهم.
- ٤- اشتهرت المدرسة المالكية المغربية بالمؤلفات العديدة في شتى الفنون ومن ذلك؛ كتب التفسير التي تعنتي بالأحكام، وشروح الموطأ، وغيره من كتب الحديث، وكتب أصول الفقه على أصول مالك، والكتب الفقهية بأنواعها، وغيرها.
- ٥- تميزت المدرسة بخصائص وسمات منها؛ أنها نتاج لمدارس المالكية الأخرى، تمسكها بمذهب أهل السنة والدفاع عنه، الاجتهاد والبعد عن الجمود والتعصب، والموسوعية العلمية، وربط الأحكام بأدلتها من الكتاب والسنة، وكذلك تميزت بالمرونة والوسطية.
- ٦- من إسهامات المدرسة في بناء المذهب المالكي؛ التأليف، والتدريس، والقضاء، ومجالس الفتوى.

### التوصيات

- ١- العناية بإخراج التراث الشرعي تحقيقاً ودراسة، وخصوصاً تراث المدرسة المالكية المغربية، المحبوس في المكتبات والخزائن الخاصة والعامة.
- ٢- الاهتمام بعلماء المغرب العربي ودراسة سيرهم في الحياة.

## قائمة المصادر والمراجع

- ١- الأعلام: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي دمشقي، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر، ٢٠٠٢م.
- ٢- بداية المجتهد ونهاية المقتصد: أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي الشهير بابن رشد الحفيد، دار الحديث للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، (د. ط)، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
- ٣- بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس: أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة، أبو جعفر الضبي، دار الكاتب العربي، القاهرة - مصر، (د. ط)، ١٩٦٧م.
- ٤- تاريخ ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر: عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي، المحقق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- ٥- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، المحقق: عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
- ٦- التاريخ الكبير: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، طبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد - الدكن، طبع تحت مراقبة: محمد عبد المعيد خان، (د. ط، د. ت).
- ٧- تاريخ علماء الأندلس: عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر الأزدي، أبو الوليد، المعروف بابن الفرسي، عني بنشره؛ وصححه؛ ووقف على طبعه: السيد عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي، القاهرة - مصر، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- ٨- ترتيب المدارك وتقريب المسالك: أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليعقوبي، المحققون: جزء ١: ابن تاويت الطنجي، ١٩٦٥م، جزء ٢، ٣، ٤: عبد القادر الصراوي، ١٩٦٦ - ١٩٧٠م، جزء ٥: محمد بن شريفة، جزء ٦، ٧، ٨: سعيد أحمد أعراب ١٩٨١-١٩٨٣م، مطبعة فضالة - المحمدية، المغرب، الطبعة الأولى.
- ٩- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ١٣٨٧هـ.

- ١٠- تهذيب الكمال في أسماء الرجال: يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبى المزى، المحقق: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
- ١١- تهذيب اللغة: محمد بن أحمد بن الأزهرى الهروى، أبو منصور، المحقق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربى، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.
- ١٢- جامع بيان العلم وفضله: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، تحقيق: أبي الأشبال الزهيرى، دار ابن الجوزى، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
- ١٣- جمهرة تراجم الفقهاء المالكية: د. قاسم علي سعد، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي - الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
- ١٤- الدر الثمين في أسماء المصنفين: لي بن أنجب بن عثمان بن عبد الله أبو طالب، تاج الدين ابن السّاعى، تحقيق وتعليق: أحمد شوقى بنبين، ومحمد سعيد حنشى، دار الغرب الاسلامى، تونس، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
- ١٥- دراسات في مصادر المذهب المالكي: ميكلوش مورانى، نقله عن الألمانية: د. سعيد بحيرى وغيره، راجع الترجمة: د. محمود فهمى حجازى، المراجعة الببلوغرافية: د. عبد الفتاح محمد الحلو، دار الغرب الإسلامى، الطبعة الأولى: ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.
- ١٦- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب: إبراهيم بن علي بن محمد، ابن فرحون، برهان الدين اليعمرى، تحقيق وتعليق: الدكتور محمد الأحمدى أبو النور، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة - مصر، (د. ط، د. ت).
- ١٧- رسائل ابن حزم الأندلسى: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسى القرطبي الظاهري، المحقق: إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت - لبنان، (د. ط، د. ت).
- ١٨- الروض المعطار في خبر الأقطار: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحميرى، المحقق: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت - لبنان، طبع على مطابع دار السراج، الطبعة الثانية، ١٩٨٠م.
- ١٩- رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساکهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم: أبو بكر عبد الله بن محمد المالكي، حققه: بشير البكوش،

- راجعته: محمد العروسي المطوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
- ٢٠- سير أعلام النبلاء: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، المحقق: مجموعة من المحققين بإشراف: الشيخ شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- ٢١- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية: محمد بن محمد بن عمر بن علي ابن سالم مخلوف، علق عليه: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- ٢٢- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- ٢٣- طبقات الفقهاء: أبو اسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي، هذبة: محمد بن مكرم ابن منظور، المحقق: إحسان عباس، دار الرائد العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٧٠م.
- ٢٤- طبقات المفسرين للداودي: محمد بن علي بن أحمد، شمس الدين الداودي المالكي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، راجع النسخة وضبط أعلامها: لجنة من العلماء بإشراف الناشر، (د. ط، د. ت).
- ٢٥- طبقات المفسرين: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، المحقق: علي محمد عمر، الناشر: مكتبة وهبة - القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٣٩٦هـ.
- ٢٦- الكافي في فقه أهل المدينة: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، المحقق: محمد محمد أحمد ولد ماديك الموريتاني، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
- ٢٧- لسان العرب: محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور، الناشر: دار صادر، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ.
- ٢٨- مباحث في المذهب المالكي بالمغرب: د. عمر الجيدي، مطبعة المعرف الجديدة، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م.

- ٢٩- **مجموع الفتاوى**: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن تیمیة الحرانی، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.
- ٣٠- **مباحث في المذهب المالكي بالمغرب**: د. عمر الجبدي، مطبعة المعرف الجديدة، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م.
- ٣١- **المذهب المالكي**: مدارسه ومؤلفاته، خصائصه وسماته: محمد المختار محمد المامي، مركز زايد للتراث والتاريخ، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
- ٣٢- **المسالك والممالك**: أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٩م.
- ٣٣- **معالم الإيمان**: عبد الرحمن بن محمد الدباغ، المطبعة العربية التونسية، ١٣٢٠هـ.
- ٣٤- **المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين**: عبد الواحد بن علي التميمي المراكشي، محيي الدين، المحقق: الدكتور صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، صيدا-بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م.
- ٣٥- **معجم البلدان**: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، دار صادر، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٩٥م.
- ٣٦- **المعجم الوسيط**: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، إبراهيم مصطفى وأحمد الزيات وحامد عبد القادر ومحمد النجار - دار الدعوة، القاهرة - مصر، (د. ط، د. ت).
- ٣٧- **معجم متن اللغة**: أحمد رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت - لبنان، (د. ط)، ١٩٦٠م.
- ٣٨- **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب**: أبو العباس أحمد بن يحيى الونشريسي، المحقق: محمد حجي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للمملكة المغربية - ودار الغرب الإسلامي، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
- ٣٩- **المقتبس من أنباء الأندلس**: ابن حبان القرطبي، حبان بن خلف بن حسين بن حبان، المحقق: الدكتور محمود علي مكي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة - مصر، (د. ط)، ١٣٩٠هـ.
- ٤٠- **المقدمات الممهديات**: أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي، تحقيق: الدكتور محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.



- ٤١- **الموطأ:** مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبجي، المحقق: محمد مصطفى الأعظمي، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية، أبو ظبي - الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
- ٤٢- **منهاج السنة النبوية:** أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية، **المحقق:** محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، **الطبعة الأولى،** ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- ٤٣- **الموافقات:** إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، الجيزة - مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
- ٤٤- الموسوعة التونسية المفتوحة [/http://www.mawsouaa.tn/wiki](http://www.mawsouaa.tn/wiki).
- ٤٥- **الموسوعة الجغرافية للوطن العربي:**كمال موريس، دار الجبل، بيروت - لبنان، (د.ط.د.ت).
- ٤٦- **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب،** وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب: شهاب الدين أحمد بن محمد المقرئ التلمساني، المحقق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت - لبنان، (د.ط.د.ت).
- ٤٧- **النهاية في غريب الحديث والأثر:** مجد الدين أبو السعادات المبارك ابن عبد الكريم الشيباني الجزري، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت - لبنان، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- ٤٨- **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان:** أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر، بيروت - لبنان، (د.ط.د.ت).
- ٤٩- **المذهب المالكي في بلاد المغرب:** خير الدين سييب، ضمن مجموع بحوث أعمال الملتقى الوطني الرابع للمذهب المالكي بولاية عين الدفلى
- ٥٠- **المذهب المالكي النشأة والموطن وأثره في الاستقرار الاجتماعي:** د. محمد عز الدين الغرياني، الناشر، طرابلس، ليبيا : منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ٢٠١٠م.
- ٥١- **المسالك والممالك:** أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٩م.
- ٥٢- **المدرسة المالكية الأندلسية نشأة وخصائص:** مصطفى الهروس، المغرب، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

